تجليات أسماء الله الحسنى
في فكر بديع الزمان النورسي

تأليف

أ.د/ محمد السيد أحمد شحاته

الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

والأستاذ بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية بكلية المعلمين

من ٣٠١ إلى ٣٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نور التجليات، وفيض الفيوضات، وأساس المكرمات، وعزة الغيوبات، وسعادة القربات، الحمد لله رب العالمين، بها أسس المعايير، وتفتحت المغاليق، وارتشفت الأسماع، وتجلت المقادير، وهو التوحيد، وله التوحيد، وبنوره تعزز بالتوحيد. وتفرد بالتجريد، وتزين بالتصميد، فصمدانيته أصل العلا في النفوس، وأصل الجمال في الرؤوس، وأصل التحلي في الكئوس، واصل الرفعة وتزيين مدامات ريانات الطروس.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له عز التفريد، وأصول التجريد. وزينة التوحيد.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله المجتبي من الخلق أجمعين، المرسل بالمحبة إلى يوم الدين.

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين، ورضي اللهم عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد

فالتصوف جليل القدر، عظيم النفع، أنواره لامعة، ثماره يانعة، فهو يزكى النفس من الأدناس، ويطهر الأنفاس من الأرجاس، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن، وخلاصته اتباع شرع الله، وتسليم الأمور كلها لله، والالتجاء في كل الشئون إليه مع الرضي بالمقدر من غير إهمال في واجب ولا مقاربة لمحظور.

وقد اختلف في تعريفة فقيل: " التصوف الجد في السلوك إلى ملك الملوك "، وقيل:" التصوف الموافقة للحق "، وقيل:" أنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها "، وقال بشر بن الحارث:" الصوفي من صفا قلبه لله ".

وقد سئل الإمام أبو علي الروذباري [١] عن الصوفي فقال:" من لبس الصوف على الصفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى (صلى الله عليه وسلم)" [٢]، وسئل الإمام سهل بن عبد الله التستري [٣] عن الصوفي فأجاب:

---

(١) أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار الشيخ أبو علي الروذباري وهو: أحد أئمة الصوفية ، بغدادي الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء والكتبة يتصل نسبه بكسرى أنو شروان ، صحب في التصوف الشيخ الجنيد وفي الفقه ابن سريج وفي النحو ثعلباً وفي الحديث إبراهيم الحربي وكان يفتخر بمشايخه هؤلاء ، أقام بمصر وصار شيخها ، وكان فقيهاً محدثاً روى عن مسعود والرملي وغيره ، وروى عنه محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي وغيره. قال أبو علي الكاتب: ما رأيت أحداً أجمع لعلم الشريعة الحقيقة من الروزباري ، وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة ، توفي سنة اثنين أو ثلاث وعشرين وثلاثمائة. راجع: الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الشافعي ت ٤٦٥ هـ ، الرسالة القشيرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٩م ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٣) هو من أعلام العلماء وأئمة التصوف الزاهد الورع والعابد المتقشف أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ولد في تستر بالأهواز سنة ثلاث ومائتين من الهجرة وعاش في القرن الثالث الهجري ذلك القرن الذي حفل بالأئمة الكبار في كل فن من الفنون ، نشأ سهل فوجد أمامه في جنح الليل خاله محمد بن سوار قائماً يتبتل إلى الله ويضرع إليه ويناجيه يصلي في خشوع ويدعو في خضوع ويقضي الليل ساهراً في عبادة خاشعة آسره جذبت سهلاً إليه وربطته به وحببته فيه ، لقد حفظ القرآن وهو ابن ست سنين وشغله الذكر والاستغراق في العبادة عن متطلبات الحياة المادية العادية؛ لقد تغذى بالذكر فخف احتياجه إلى ما سواه وكان يكتفي بخبز الشعير وكان يأكل أقل القليل منه ، ومن أقواله وقد قال: أصولنا سبعة.. التمسك بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق. راجع: رجال خدموا الإسلام ، الإمام سهل بن عبد الله التستري مقال بقلم: أ.د/ منيع عبد الحليم محمود (عميد كلية أصول الدين السابق – جامعة الأزهر)

" من صفا عن الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والمدر " [١]،
وقال الشيخ محمد ميارة المالكي: في اشتقاق التصوف أقوال إذ حاصله اتصاف بالمحامد، وترك للأوصاف المذمومة، وقيل من الصفاء " اهـ. [٢]

وأقول: إن التعريف الحقيقي للتصوف إنما يكون بعدد أنفاس الخلائق، فمع كل نفس يتمثل الصوفي لحالة من حالات التحقيق الصوفي.

وأصل التصوف هو ما بني على الكتاب والسنة كما قال الجنيد البغدادي ــ رحمه الله:" طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، إذ الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه ألا على التقين آثار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ"اهـ. [٣]

وقال الشيخ تاج الدين السبكي:" ونري أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه مقوم " اهـ، وقال سهل التستري رضي الله عنه:" أصول مذهبنا ــ يعني الصوفية ــ ثلاثة: الاقتداء بالنبي ــ صلى الله عنه وسلم ــ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال " اهـ. [٤]

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:" ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة "، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية قال تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [٥]وقد حكى العارف بالله الشعراني إجماع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الصوفية إلا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها

---

(١) الرسالة القشيرية صـ ١٥؛ وقارن: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي صـ.
(٢) شرح المرشد المعين ، للإمام محمد بن ميارة المالكي صـ ٢ وما بعدها.
(٣) راجع: إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ، الجزء الخامس ، الكتاب الخاص صبكتاب عوارف المعارف للسهروردي صـ ٨٢ ط دار مصر للطباعة سنة ١٩٩٨م.
(٤) المصدر نفسه صـ ٨٣.
(٥) سورة السجدة ، الآية رقم (٢٤)

وناسخها ومنسوخها، وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك. (١)

والحكمة في هذا الإجماع الذي حكاه الشعراني ظاهرة لأن الشخص إذا تصدر للمشيخه والإرشاد اتخذه المريدون قدوة لهم ومرجعا يرجعون إليه في مسائل دينهم، فإذا لم يكن متقنا لعلم الشرع متبحرا فيه قد يضل المريدين بفتواه فيحل لهم الحرام ويحرم عليهم الحلال وهو لا يشعر، أيضا فإن أغلب البدع القبيحة والخرافات أنما دخلت في الطريق بسبب كثير من المشايخ الذين تصدروا بغير علم، ونصبوا أنفسهم للإرشاد من غير أن يكونوا مستحقين لهذا المنصب الجليل، ولذلك تجد الكثير من المنتسبين إلى التصوف اليوم والى طرق أهله قد أعماهم الجهل فيظنون أنهم بمجرد أخذهم لطريقة صوفية معينة يرتقون إلى أعالي الدرجات، وبمجرد قراءتهم للأوراد يصلون إلى مقام الإرشاد، وفي نفس الوقت يهملون تعلم العلوم الشرعية الضرورية وتطبيقها، فيتخطبون في الجهل والفساد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويدخلون في طريف القوم البدع الفاسدة، والفتاوى الشاذة، والأقوال الضالة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويزعمون أن هذا من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا أهل الباطن، ولا يفهمها أهل الشريعة الذين هم أهل الظاهر، وإذا قدم لهم شخص نصيحة يقولون: أنتم أهل الظاهر ونحن أهل الباطن ألا تفهمون هذا؟ !! فلذلك سماهم أهل العلم والصوفية الصادقون بالمتصوفة أي: أدعياء التصوف، ويكفى في الرد عليهم قول الأمام الرفاعي:" كل طريقة تخالف الشريعة فهي زندقة "، (٢) وقال رضي الله عنه: " شيدوا أركان هذه الطريقة المحمدية بإحياء السنة وإماتة البدعة " ا.هـ. (٣)، وقال:" كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قولا وفعلا وحالا وخلقا، فالصوفي آدابه تدل على مقامه، زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع

---

(١) راجع: الطبقات للشعراني صــ ٢٣.

(٢) راجع: كشاف القناع عن متن الإقناع ج ٥ صــ ١٨٤.

(٣) راجع: إجابة الداعي إلى بيان إعتقاد الإمام الرفاعي رضي الله عنه صــ ٤.

ا.هـ[١]، وقال: " أيها الصوفي لم هذه البطالة؟ صر صوفيا حتى نقول لك: أيها الصوفي " ا.هـ. وقال: " لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن أهل الباطن وهم أهل الظاهر، هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره، وظاهره ظرف باطنه لو لا الظاهر لما بطن، لو لا الظاهر لما كان الباطن ولما صح، القلب لا يقوم بلا جسد بل لو لا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد، هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو أصلاح القلب " ثم قال:" فإذا تعين لك أن الباطن لب الظاهر والظاهر ظرف الباطن ولا فرق بينهما ولا غني لكليهما عن الآخر، فقل: نحن من أهل الظاهر وكأنك قلت ومن أهل الباطن. أي حالة باطنه للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها؟ أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها ا.هـ[٢]

فعلي ما ذكر يتبين أن كل بدعة تراها في الطرق السائرة فلك أن تعرض ما تراد وتسمعه فيها من البدع القولية أو الفعلية على قواعد الشرع فإن لم توافقه فانبذها.

ولكون التصوف مبنيا على الكتاب والسنة دخل فيها عظماء العلماء وانضم إلى زمرة أهله فحول من الكبراء كالحافظ أبي نعيم [٣]، والمحدث المؤرخ أبي القاسم النصر اباذي [٤]، وأبي على الروذباري، [٥] وأبي العباس الدينوري، وأبي حامد الغزالي، والقاضي بكار بن قتينة، والقاضي رويم بن أحمد البغدادي، وإبي القاسم عبد

---

(١) المصدر نفسه صـ ٦

(٢) المصدر نفسه صـ ١٠

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الحافظ الثقة . العلامة شيخ الإسلام أبو نعيم المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول ، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء وصاحب الحلية ، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة؛ عمل معجم شيوخه وكتاب الحلية والمستخرج ، كان حافظاً مبرزاً عالي الإسناد تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي . مات لأبو نعيم الحافظ في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربع وتسعون سنة.

(٤) راجع: تاريخ الصوفية: تأليف عبد القادر عيسى صـ ٦٠ وما بعدها.

(٥) سبق تعريفه في ص ٣

الكريم بن هوازن القشيري الجامع بين الشريعة والحقيقة، والشيخ الفقيه محمد بن خفيف الشيرازي الشافعي، والحافظ ذي المصنفات في الحديث والرجال أبي الفضل محمد المقدسي، والشيخ عز الدين بن عبد السلام المالكي، والحافظ ابن الصلاح، والنووي، وتقي الدين السبكي وابنه تاج الدين السبكي، وأبي الحسن الهيكاري، والفقيه نجم الدين الخبوشاني الشافعي، والفقيه المحقق سراج الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الملقن الشافعي، والحافظ جمال الدين محمد بن على الصابوني، والحافظ شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي، والحافظ أبي طاهر السلفي، والمسند المعمر جمال الدين أبي المحاسن يوسف الحنبلي، وقاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي، والمفتي شرف الدين أبي البركات محمد الجذامي المالكي، والإمام بهاء الدين أبي الحسن على بن أبي الفضائل هبة الله بن سلامة، والحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني صاحب المعاجم المعروفة، والمفتي جمال الدين محمد المعروف بابن النقيب، وقاضي القضاة الشيخ عز الدين عبد الزيز، وولده قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد، ووالده شيخ الإسلام برهان الدين ابراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الشافعي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الفرات، وقاضي القضاة تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين بن رزين الحموي الشافعي، وشيخ الإسلام صدر الدين أبي الحسن محمد، وشيخ شيوخ عصره عماد الدين أبي الفتح عمر، وشيخ الإسلام معين الدين أبي عبد الله محمد، والشيخ المفسر النحوي أبي حيان الأندلسي، وقطب الدين القسطلاني المشهور، والمفسر كمال الدين ابن النقيب، والحافظ أبي موسى المدينى، والعلامة نجم الدين أبي النعمان بشير بن أبي بكر حامد الجبعبري التبريزي، والحجة محمد بن عبد الواحد الكمال بن الهمام الحنفي، والحافظ جلال الدين السيوطي، والشيخ عبد الواحد بن عاشر الأنصاري المالكي، والعلامة المحقق الشيخ أحمد بن المبارك اللمطي، وغيرهم خلق كثير مما تضيق عن ذكرهم هذه الأسطر. فلا تجد عالما كبيرا ومحققا شهيرا إلا ودخل في طريق القوم والتمس بركتهم ونال الحظوة بسبب الانتساب إليهم، فمن قرأ تراجم العلماء والمحدثين وتتبع

سيرتهم واستقصى أخبارهم أدرك ذلك، ومن أنكر ذلك فهو جاهل متعنت لا اعتداد به ولا عبرة بما يقول.

ويكفي في بيان فضل الصوفية ما ذكر عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي حمزة الصوفي: "ماذا تقول يا صوفي" أ.هـ ، فالصوفي عند من يعرفه هو العامل بكتاب والسنة يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات ويترك التنعم في المأكل والملبس ونحو ذلك ، فهذه الصفة في الحقيقة صفة الخلفاء الأربعة ، فلذلك صنف الحافظ أبو نعيم كتابه الضخم المسمى "حلية الأولياء" أراد به أن يميز الصوفية المحققين من غيرهم لما كثر في زمانه الطعن من بعض الناس في الصوفية ودعوى التصوف من طائفة أخرى هم خلاف الصوفية في المعنى ، فبدأ بذكر الخلفاء الأربعة ، وقد صنف خلق كثير من العلماء كتباً في هذا الشأن منها طبقات الصوفية للمحدث الحافظ أبي عبد الرحمن محمد السلمي النيسابوري ، وطبقات الصوفية للحافظ البارع أبي سعيد النقاش الحنبلي ، وطبقات الصوفية للحكيم الترمذي ، وطبقات الصوفية للحافظ ابن الملقن الشافعي وكل هؤلاء من أهل الحديث.

وإذا بان حقيقة الأمر وجلاءه على الفهوم والنفوس التي يريد الوصل على الله تعالى عن طريق الشرع الحنيف ، والتمسك بآداب الرسول – صلى الله عليه وسلم غير خاضعة لزل العبد ، وغنما متطلعة إلى محلة الله سبحانه وتعالى ، فتقف على مرامي النفوس ، ولا تحصر نفسها في عبارات نخرها السوس ، فهم أهل المشاهد والحقائق ، وكل من خرج عن الطريق الحق الذي ميزانه زكيزانه الكتاب والسنة ، فقد خرج من معاييرنا الحقيقية ، وأصولنا الربانية ، وتكييفاتها الإلهية.

فتحققيقات الحق واضحة لنا ، وعرفاننا بالله مقؤون بنا ، وأصولنا التحقيقية من منيع ميزان التجليات الفيضية الإشراقية للنور الأسمى الذي وهبنا الله إياه ، فأعلمنا به طريقا وآدبا وسلوكا بمحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

وأنه لما كان الحديث عن التصوف لا ينقطع ما بقيت الأنفاس وتشهق ، فإن حلو الكلام متصل ما بقي رضا الله علينا ، لذا فإني سأجتزئ ذرة من ذرات التصوف ، لنقطة قالها علم من أعلام التصوف الحقيقي ، وابحث فيها ، راجيا ، الرضا من الحق العلام ، مستضيئاً بنور طلاوات ورضاءات رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، فبه لي كانت الهداية ، ونوره كان شعاعاً علي علق أصول البداية في الطريق ، فلم أرد إلا تحقيق مثلية النجاية على أصول الصفاية.

ولا يسعني في هذا البحث المتواضع إلا أن أقول:

علم التصوف يا قومي خذوه	تطلعوا إليه بالأبصار وراقبوه
تجدوا التصوف في العلا يبتر	فهو الصفاية لمن بالعلا أعلوه
وهو الهداية لمن أجل حقائقاً	فاستلهموا نوره والقلب صافوه
فتصافوا وتحبوا إلى بقين قربه	بعلم سلوك فارضوا به وتمثلوه
تنور أتي إلى الوجود أنور	سبحان من جمّل الحس به فارضوه
فهو اليقين من مشارب قلبنا	ونبع الحب تصوير لمن تذوقوه
يا بعيد لا تصاب بمشرب من كأسه	إن التجرع منه لمن واله
فلا تغب عن معين شرابه	إن أردت عباده فها الرسول حبوه
كلي شعور بالظمأ من نبعه	مهما ارتويت فمشرب الحب كاسوه
لا أرتوي من نور أريد دوامه	لم أرتوي إلا بإحساس فعلّوه
ولا تنكر شقي النفس علماً	من القرآن كان لا بديلاً سووه
وبالسنة الغراء وقدوة المصطفى	كان العلا والاستمساك فوافوه
وسارع بريانات قلبك ترتوي	من نبع فيض لا ينضب فاشربوه

وبهذا فإني أقدم لهذا المبحث الفياض ، بتقديم العاشق الولهان لرجل من أفذاذ الصوفية الأخيار ، في مسألة من أهم المسائل ، فالرجل هو بديع الزمان النورسي ، والمسألة هي تجليات أسماء الله الحسنى كطريق محقق للعبادة ، وهو أمل هام في

نفسي أن تشرب مصافيه ، وأن تعلم الخير في ربا واديه ، والله أسأل أن يعنني على معانيه ، وفهم مراميه ، إنه تعالى على النفوس مزين مجاليه ، وهو السميع البصير لمعاليه ، ونور القصد أصفى محاليه ، وهو الخير لمن أدرك التجلي في مراقيه.

أد/ محمد السيد أحمد شحاته

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

مقدمة وتمهيد:

أهمية أسماء الله الحسنى في فكر النورسى

لقد تمثل النورسى حقيقة الأسماء باعتبارها طريق معرفة حقيقى إلى الله تعالى وبان ذلك من ترديده الكثير على حقيقة الأسماء والصفات الإلهية، وكذا الاستدلالات الكثيرة القائمة على وجود الله تعالى.

ومن المعلوم أنه قد أثير جدل قضية الأسماء والصفات، واشتد النزاع حولها بين مدارس الفكر الإسلامى لاسيما بين " السلف" والمتكلمين، ولازال هذا النزاع يحتل مكانة متقدمة في قضايا العقيدة، وأن النزاع حول هذه القضية في الماضى لم يثمر شيئاً وكانت له آثار سلبية، انعكست على مسار الفكر الإسلامى ووحدة المجتمع، ولم يستطع جدال المعاصرين حول هذه المسألة أن يؤدى إلى نتيجة إيجابية؛ وقد أدرك النورسى أنه من الأوفق في مثل هذه القضية الرجوع إلى منهج القرآن الكريم وبيان الرأى الصحيح فيها بعيداً عن الجدل الكلامى بين الفرق، وتركزت معالجته للقضية على ما يلى:

إن الأسماء الحسنى، هى المنطلق لمعرفة الله تعالى حق المعرفة، ويجب على الإنسان – كما يقول – قراءة هذه الأسماء وتعليمها وكشف معانيها، والتجول في المراتب التى تصفها وتشرحها، وذلك حتى يتمكن الإنسان من أن يجد الموضع الذى يستطيع أن يتوجه إليه بمشاعر الشكر، وكلما ازدادت معلومات الإنسان عن ربه ومعرفته به ازداد حبه له، وسعى لأن يجعل نفسه محبوبا لديه. (١)

والتعرف على أسماء الله تعالى وصفاته لا يكون إلا من خلال آياته المنبثة في الكون، فكما يدلنا الكون على وجود الله تعالى، فإنه يدلنا كذلك على أسماء الحسنى وصفاته العلى " إن كتاب الكون الكبير هذا إذ تعلمنا آياته التكوينية الدالة على وجوده

(١) راجع: لمعات الأسماء الحسنى في رسائل النور لأوميد شمشك ، المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي في القرن العشرين.

سبحانه وعلى وحدانيته، وهذا يشهد كذلك على جميع صفات الكمال والجمال والجلال للذات الجليلة.

والتعرف على أسماء الله الحسنى يثبت كمال ذاته الجليلة المبرأة من كل نقص، والمنزهة عن كل قصور، وذلك لأن ظهور الكمال في أثر ما يدل على كمال الفعل الذى هو مصدره، كما هو بديهى، وكمال الفعل هذا يدل على كمال الاسم، وكمال الاسم يدل على كمال الصفات، وكمال الصفات يدل على كمال الشأن الذاتى، وكمال الشأن الذاتى يدل على الذات ذات الشؤون حدسا وضرورة وبداهة " [١]

ويجب أن تكون نقطة البدء دوما من جزيئات الوجود: وأساسها الانتقال من الآثار والأفعال التى نشاهدها إلى الأسماء والصفات، وهذا يحتاج إلى تأمل دقيق وتفكير عميق، ويمكن البدء دائما من جزيئات الوجود. ومطالعة الأسماء والأفعال العديدة المتجلية في كائن واحد مع الأسماء والأفعال المتجلية في جميع الكائنات، ويضرب النورسى بعض الأمثلة، مثل إرسال اللبن الخالص السائغ إلى رضيع صغير لا يملك حولا ولا قوة، وهو بذاته يظهر الجمال السرمدى لرحمة الله بجميع محتاجى الكون، كذا الشفاء من مرض عضال يتجلى من خلاله جمال شفقة الرحيم وكمال إحسانه الشفاء إلى جميع المرضى[٢] فكل شئ في العالم يسند جميع الأشياء إلى خالقه، وكل أثر في الدنيا يدل على أن جميع الآثار هى من مؤثراته هو.... وأن كل فعل إيجابى في الكون يثبت أن جميع الأفعال الايجابية إنما من أفعال فاعله هو... وأن كل أسم من الأسماء الحسنى الذى يتجلى على الموجودات يشير إلى أن جميع الأسماء إنما هى لمسماه هو... أى أن كل شئ هو برهان وحدانية واضح، ونافذة مطلة على المعرفة الإلهية.

فالكائن الفرد مهما صغر فهو مثال للكائنات جميعها، ومن ثم فإن موجده لا بد أن يكون موجد الجميع، فالذى يحى البعوضة لا بد أن يكون هو المحيى لجميع

(١) الكلمات صـ ٣٤٢.

(٢) الشعاعات للنورسي ترجمة إحسان قاسم صـ ٨.

الحشرات، والذى يجعل الذرات تدور، هو محرك الموجودات جميعا، ومن ناحية أخرى فإن الأسماء متداخل بعضها في بعض فمثلا: فاسم المحى عندما يتجلى ويمنح الحياة، يتجلى من خلاله اسم الحكيم، والكريم والرحيم والرازق، وغيرها من الأسماء الإلهية، والنظر إلى الأسماء بهذا المنهاج يوصلنا إلى أن كل أسم، وكل فعل، وكل أثر، هو برهان وحدانية الله تعالى، وختم توحيد، وخاتم أحدية بحيث يدل على أن الكلمات التى هى الموجودات المسطورة في صحائف الكون، وفى سطور العصور إنما هى كتابة قلم نقاشة ومصورة جل وعلا". [(١)(٢)]

وهكذا: فإن الإنسان يستطيع في ضوء القرآن مطالعة الكون ككتاب يجد أسماء الله تعالى وصفاته في كل جزئية من جزئيات، ومن خلال ذلك يصل إلى معرفة ربه، ويستمتع بلذة مناجاته سبحانه وتعالى.

وبان بهذا الطريق أن النورسى يؤسس المسألة على المعرفة بحقائق (لا إله إلا الله) واستلزم طريقها ومعرفة الأسماء الحسنى ومراقى أصولها.

يقول النورسى: " إن معرفة الله سبحانه والإيمان بحقائق (لا إله إلا الله) يستلزم التصديق القلبى والإيمان المطلق الجازم... أما النطق بأن " الله موجود " ثم إسناد تصريف الأمور في ملكه إلى الأسباب التى لا عد لها وإلى الطبيعة واتخاذها شركاء لله تعالى ومن ثم الجهل بإرادته النافذة وعلمه المطلق ومثول كل شئ أمامه، وعدم الاهتمام بأوامره ونواهيه والجهل بصفاته وما أرسل من رسله، ولا شك إن هذا كله ليس من الإيمان في شئ. "[(٣)]

---

(١) المكتوبات صـ ٢٢٨ ، ٢٣٠

(٢) راجع: من معالم التجديد عند النورسي لمحسن عبد الحميد جهود بديع الزكان النورسي في تجديد الفكر الإسلامي صـ ١٧ وما بعدها مارس ١٩٩٩م.

(٣) راجع: كرشد أهل القرآن للنورسي ترجمة إحسان قاسم ط منير بغداد ١٩٩١ صـ ٧٨ وما بعدها.

ومن هنا قام الإمام النورسى بتقديم كشف بيان لحقائق أسماء الله تعالى الحسنى وكشف أسرارها المعرفية، بأسلوب علمى رصين يناسب العصر، ووسيلة جوهرية للتعريف بالله تعالى، وذلك لتفعيل الدين، وإحياء الإيمان في القلوب، من طريق التصوف السنى، فكانت رؤيته في ذلك أن: (الأسماء الحسنى منبع الحقائق والعلوم كلها)[١]، و (أن كل ما ناله الإنسان من حيث جامعية ما أودع الله تعالى فيه استعدادات، من الكمال العلمى والتقدم الفنى ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات ــ تعبر عنه الآية الكريمة (وعلم آدم الأسماء كلها)[٢] وتعبير الآية، في نظر النورسى " ينطوى على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال ولكل علم ولكل تقدم ولكل فن، أياً كان حقيقة سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم، الذي له حجب مختلفة وتجليات متنوعة ودوائر ظهور متباينة، يجد الاسم والفن والصنعة كماله ويصبح حقيقة فعلاً..، فالطب مثلا، مهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقته يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وهو اسم الله (الشافى) فيصل الطب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلا بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم الله (الشافى) في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذى يمثل صيدلية عظمى".[٣] وهكذا بقية أسماء الله تعالى الحسنى.

وإلى جانب بيان أسرار أسماء الله الحسنى معرفياً لتفعيل الدين وتعميق الإيمان في النفوس، ساق الإمام النورسى آلافاً من الأدلة والبراهين العقلية المقتبسه من كتاب الكون، مدعمة بأدلة نقلية، تفيد يقيناً أن الله تعالى هو الذى وراء حركة

---

(١) المصدر نفسه صــ ٤٨.

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٣١)

(٣) المصدر نفسه صــ ٤٨ وما بعدها

الكون وهو خالقه وهو المتصرف فيه، وقد أجمل أصول هذه البراهين كلها في أربعة براهين كبرى[١] وهي:

البرهان الأول: سيدنا محمد النبى – صلى الله عليه وسلم– خلقه وصفاته.

البرهان الثانى: هذا الكون كتاب الوجود.

البرهان الثالث: القرآن الكريم ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه.

البرهان الرابع: وهو ما يسميه النورسى بالوجدان الحى أو الفطرة.

فهو يقول في استدلاله بكتاب الكون مثلاً: " إن منح كل شئ وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة وإلباسه صورة معينة، ووضعه في مواضع ملائم، يبين بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقى، وكذا إعطاء كل ذى حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أى إعطاء كل ما يلزم وما هو ضرورى لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقائه في أفضل وضع، يدل على أن يد عدالة مطلقة هى التى تسير الأمور "[٢]. ومن جوانب آخرى يقول: " الإعجاز الباهر الظاهر في النظام والتناسق والاطراد المشاهد في كتاب الكون الكبير، وهو برهاننا الثانى على التوحيد يظهر بوضوح تام كالشمس الساطعة، أن الكون وما فيه ليس إلا آثار قدرة غير متناهية وعلم لا يتناهى وإرادة أزلية " [٣] و " أن حروف هذا الكتاب – يقصد الكون – ونقاطه فرداً فرداً أو مجموعة يتلو كل بلسانه الخاص (وإن من شئ إلا يسبح بحمده) [٤][٥].

---

(١) وقد اكتفى النورسي أحياناً بذكر ثلاثة منها ، كما في الكلمة التاسعة عشر من كتاب الكلمات إذ جاء فيها (إن ما يعرف لنا ربنا هو ثلاثة معاً عظام أوله: كتاب الكون ، وثانيه هو الآية العظمة لهذا الكتاب العظيم وهو خاتم ديوان النبوة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وثلثه القرآن الحكيم ، راجع: الكلمات صـ ٢٥٤.

(٢) الكلمات صـ ٦٩.

(٣) حقيقة التوحيد للنورسي ترجمة إحسان قاسم مطبعة العاني بغداد ١٩٨٥ صـ ١١٩

(٤) سورة الإسراء الآية رقم (٤٤) .

(٥) المصدر نفسه صـ ١١٤.

وأظهر النورسى مظاهر ذلك في صيغ كمالية حقيقة باعتبارات متعددة وهى:

الاعتبار الأول: اعتبار الإعجاز العددى في الأسماء الإلهية، والذى أظهره التجلى في مصاحبة الأسم الإلهى للكون وظهور الصلة العقلية الحقيقية لهذا التجلى، وقد أظهر ذلك جلياً في رسائل النور

ثم كان الأعتبار الثانى: وهو حقيقة الأثر الواقع من الأسماء الحسنى على الكون الطبيعى، وهذا الأثر كدلالة واضحة في بناء عملية التنظيم والترتيب الكونى.

ثم كان الاعتبار الثالث: وهو تعدد العوالم الغيبية بتعدد تجليات الأسماء الإلهية، وهو أمر يقرره على طريق الفيض الإلهى في الخلق وتعدد العوالم التى تحصى عددا من خلال الأسماء في عددها، ولا تحصى عدداً من خلال تجليات الأسماء عليها.

ثم كان الاعتبار الرابع وهو: أن كل اسم من الأسماء الحسنى قصد إقامة علم كامل بكل مشتقاته، فما علوم الدنيا إلا استقاقات من الأسماء الإلهية.

وبناء على هذه المعايير أظهر النورسى حقيقة الطريق إلى الله تعالى في العبادة، ثم حقيقة التجلى في الأسماء الإلهية، ثم حقيقة العوالم المنصرمة أو (المعدومة) من خلال تلك الأسماء، ثم حقيقة العوالم المشاهدة بناء على تجلى تلك الأسماء، ثم حقيقة قصد الأسماء الإلهية في بناء العلوم والمعارف، ثم حقيقة قصد الأسماء الإلهية في تحصيل الأثر في الأجسام المادية عن طريق بناء الأخلاق وبناء الأجسام خالية من العيوب.

وهكذا أمر النورسى بناء على الفيض الإلهى والتجلى الواضح مقرر لحقائق كثيرة في الأسماء الإلهية، قررها بواقع الأنس والطمأنينه والمشاهدة والقرب من العلى الأعلى، ثم كان تقريرها بواقع المحبة الإلهية، ومحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكفى أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويقول له أذهب فتعلم القرآن ولا تسأل أحداً، وهكذا تعلم النورسى فقد علمه الله لأنه لم يطلب المخلوق طريقا إلى الله وإنما أرشده الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى أن طريق

الله لا يكون إلا بالله فقط فهو الحسب والكفاية لمن فهم مرماه، واستعد لخشيته ورضاه، فمنحه الله من العلوم أصفاها، ومن المعارف أزكاها، ومن الإدراكات أحلاها، وفى ضياء الأنس أجلى صداها، وفى رحاب المحبة عمق نداها، وفى ضياء الإشراف أفاض ثناها، إنه علم من أعلاها، وفيض من الذى خلقها وسواها، فهو اليقين لمن والاها، فسعد بها النورسى إذ حقق في الطريق مسعاها، فلم يسأل أحداً من الناس سوى من إليها أرشده وهو المصطفى وقد شقها وأشجاها.

لهذا فقد قسمت البحث إلى مباحث ستة هى:

المبحث الأول: حقيقة التجلى والفيض عند النورسى وارتباطها بمظهر الجمال في فكره.

المبحث الثانى: طريق عبادة الله تعالى من خلال الأسماء الحسنى.

المبحث الثالث: تعدد العوالم المنصرمة (المعدومة) بأثر من الأسماء الحسنى.

المبحث الرابع: تعدد العوالم المشاهدة المخلوقة كشاهد على التوحيد بأثر من الأسماء الحسنى.

المبحث الخامس: بناء الكيان الإنسانى عن طريق تجلى الأسماء الحسنى.

المبحث السادس: النظم القرآنى والإعجاز العددى كطريق لتجلى الأسماء الحسنى.

التعقيب والخاتمة.

المبحث الأول:

حقيقة التجلى والفيض عند النورسى في منظومة الجمال الكونى:

يقول لسان حال رسائل النور للنورسى: إن هذه الرسائل وصفة علاجية لكل أسقامك النفسية والحياتية فأحسن التجاوب معها والتفاعل بها، ترشد طالب الإرشاد إلى معين الحق وضياءه ونوره، ذلك أن الإنسانية في حاجة اليوم، وأكثر من أى وقت مضى، إلى دفعات روحية، والى صفات علاجية قوامها الأخلاق، تربطها بالغيب وبخالق الكون.

فهى رسائل لسان حالها على ما أقول يقول:

لأنور النور ففى الخلق أنوار ... وللسردج في سر المسرين أسرار

مهما تغيب الحق في نوره ... فلقد بدا في المحبين هتك أستار

وإذا النجوم تبدى لى شمسها ... فلقد بدا في النبى كضوء النهار

فسقى المترعين الشاربين بكاسه ... شربوا، وتجرع كاسه الأخيار

ومفهوم الجمال في تصور النورسى ليس مجرد ترف فكرى أو ترف تأملى، بل هو أساس يقوم عليه التصور الأولى بكامله، ومن القصور اعتباره مجرد رغبة في نقل رؤية تأميلية للجمال من منظور خاص وشخصى فهذا الأمر غير حاضر أصلا في تصور النورسى، وذلك لسبب بسيط وهو أن الرسائل تنطلق من القرآن، والقرآن كما هو معروف للجميع منزه عن التكرار وعن الترف الزائد، ومنزه عن العبث فكل ما في هذا الكتاب له غاية ومعنى ومرمى ينبغى إدراكه وفهمه واستيعاب أبعاده.

ومبحث الجمال عند النورسى له غاية وهدف ومرمى ومن هنا لا يمكن فصله عن الأدوات والوسائل والأليات التوجيهية الأخرى في منهج النورسى في بناء الإنسان، ولذلك يمكن القول بأن الرسائل في عبارة قصيرة هى مشروع تكاملى لبناء الإنسان من منظور قرآنى، وعلى هذا الأساس فمبحث الجمال ومضامينه عند

النورسى قابلة لأن تكون أداة من الأدوات التى يمكن توظيفها في تخليص العالم من هوة السقوط والضياع.

فلقد عاش النورسى مشاكل عصره، وعالج قضاياه بكل حكمة واتزان واهتمام، بل إن كثيرا مما عالجه كان قد تعمق جرحه واستفحل خطره، وما أحوج البشرية إلى البلسم القرآنى، والدواء الربانى لتضميد جراح الروح والنفس والجسد والمجتمع، فقد كان هذا الإمام يقدم المراهم والبلاسم من صيدلية القرآن جاهزة للاستعمال، سهلة قريبة المنال".(١)

وليس هذا بالأمر الغريب على رجل قوى اتصاله بالقرآن، وتشربت روحه وجميع جوارحه معانيه، وأعادت ترجمتها إلى وصفات علاجية ناجحة تملك القدرة على التسرب بلطف وهدوء إلى أعماق النفس الإنسانية، وترجمتها كذلك إلى صور فنية مؤثرة، والى كلمات تفيض حيوية حتى كأنها تنطق.

ولقد كان النورسى رجلا مؤتا له لا يرى إلا بمنظار القرآن، ولا يتأمل إلا من خلال الفيض الجمالى الذى تجلت به أسماء الله الحسنى في الوجود.

إن النورسى لم يكن ينظر وهو ينقل العالم بكل مكوناته إلا الوجه الظاهر للجمال الإلهى، هذا الجمال الذى أكتسب القدرة على فهم خفاياه الدقيقة بإخلاصه في الاتصال بالقرآن؛ فاعتبر النورسى الوجود كتابا جميلا كتب بكلمات جميلة وكل حرف من حروف هذا الكتاب التى لا تعد ولا تحصى وهو دليل من الأدلة الظاهرة على الجمال الإلهى بما تحتويه هى ذاتها من جمال مسبح في وقت وحين، وبما حباها صاحب الجمال من قدر جمالى يوافق حكمة إيجادها، فالمتأمل في الرسائل لابد وأن يلاحظ بأن مسحة جمالية ظاهرة للعيان تشدك إليها شدا، فإلى جانب الأسلوب الأدبى الأخاذ والمعجم الذى لا يتوقف على اقتباس واستحضار ألفاظ تنتمى إلى حقل الجمال،

---

(١) راجع افنسان في فكر النورسي وجوداً ومهمة وغاية ، وقارن؛ النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور صـ ٥: ٢٠ ؛ وقارن / أعمال المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان النورسي شركة نسل للطبع والنشر الطبعة الأولى صـ ٥.

فالى جانب ذلك كله وغيره نلاحظ أن النورسى في كل فقرة من الرسائل منذ الاتصال الأول معها يؤسس علاقة قوية ووشائج عميقة مع الكائنات ".(١) ومما يشاهد في فكر النورسى في تعبيره عن الجمال الإلهى أنه نظر إلى الموجودات فجعل كل فرد منها عنصراً جمالياً على حدة، بل جعل كل فرع منها يمثل كلمات مكتوبة بالنور الإلهى، مرسومة في الحواس بالتقدير الإلهى، فالشجرة مثلا وهى أنواع كثيرة، تمثل مكتوبات، وكل مكتوب فيها يمثل كلمة، والكلمة تمثل حقيقة جسمية موجودة في الوجود منظمة على أبداع ما يكون التنظيم والترتيب والتنسيق؛ وهذا بلا شك يذكرنا بنظرية المثل والمثال الأول ومثال المثال.

ففى المرحلة الأولى من التجلى النورانى عليه يحقق طريق الاستدلال على وجود الجمال الإلهى الفائض على المخلوقات بطريق العقل والذوق معاً فهو يقول: " إنه محال أن يكون كتاب بلا كاتب، ولا سيما كتاب كهذا الذى تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خط بقلم دقيق، والذى تحت كل حرف من حروفه قصيدة دبجت بقلم رفيع، وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتاباً كثيرة، ولا بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدة.. فوجه الأرض صحيفة، وما أكثر ما فيها من كتب ! والشجرة كلمة واحدة، وما أكثر ما فيها من صحائف ! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفى هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها فكتاب كهذا ما يكون إلا

---

(١) لقد تتبع د/ عماد الدين خليل هذا الموضوع في بحثه (رؤية جماله في الكلمات) وقال: إن قارئ الكلمات يعثر بين لحظة وأخرى على مفردات مشتقة من قاموس الجمال ، كالشعاع ، والتلألوء ، والزينة ، والصنعة ، والنور ، والغصون ، واللطيفة ، والوضاءة ، والشفافية ، والجوهرة ، والنورانية ، وشمة النسيم ، والبحر ، والتجمل ، والأزاهير ، والحسن ، ونواة الحقائق ، والروعة ، والإبداع ، والانسجام ، والجمال ، والإتقان ، والكمال ، والضياء ، والألوان ، والأصوات ، راجع: بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمئ حول تجديد الفكر ، باستنبول سنة ١٩٩٢ مطبعة سوزلر للنشر ، القاهرة صـ ١٣٣.

من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة، أى أن مجرد النظر إلى العالم ومشاهدته يستلزم هذا الإيمان، إلا من أسكرته الضلالة !

وشيدت بصنعه خارقة، حتى أن كل حجر من أحجارها يتجسم فيه فن ما في البناء كله، فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بلا بناء ماهر، وبخاصة أنه يشيد في هذا الديوان – في كل ساعة – مساكن حقيقية في غاية الانتظام والتناسق، وبغيرها بانتظام وسهولة كاملين – كسهولة تبديل الملابس – بل أنه ينشئ في كل ركن غرفاً صغيرة عدة في كل مشهد حقيقى ".(١)

ويدل هذا الكلام دلالة واضحة على أن الوجود في تجلياته لوحة جمالية رائعة تدل على الخالق وتدل على المبدع الذى هو الله تبارك وتعالى، وأوردها بهذه الحرارة المتدفقة وبهذه الدقة المتناهية، التى لخصت الوجود في فقرتين ليس الغرض منه هو إبراز القدرة على تقرير صورة فنية، تبرز فيها المحسنات البلاغية، والمعجم الجمالى بشكل قوى، كما قد يتصور، البعض، ولكن الغرض الحقيقى الذى يرمى إليه النورس، هو تعليم الإنسانية كيفية تذوق الوجود، وكيفية الانغماس في كل دقائقه العظيمة ذلك لأن كل مكونات هذا الوجود مهما ضعف حجمها هى دقيقة عظيمة من دقائق الوجود، لأنها تخفى سبيل من سبل التفكير في كل ما خلق الله، بروح تعبدية، وهذا هو فيض التجلى الحقيقى الذى أراده النورسى كقاعدة في الإبداع والتصوير الإلهى، وكيفية الوصول على هذه الروح الصافية.

ومن ثم فلقد تمكن النورسى من إدراك حقيقة الجمال في الوجود وهذا الإدراك جعله ينغمس كلية في المظاهر الظاهرة والخفية لتجلياته، فنقلها نقلا صادقاً ودقيقاً، وكأنه يتناول مداد كلماته من ذوات تجلى الجمال الإلهى في الكون، ولم تكن غايته في أى وقت من الأوقات في جعل الجمال مجرد لذة روحية لا غير، بل لقد سكنه هم إشراك الإنسانية عموما معه في تذوق هذه اللذة العظيمة، ولسان حاله يقول: أيها

(١) راجع: كليات رسائل النور ، تحقيق وترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ط ٣ سنة ١٩٩٩ صـ ٦٠: ٦١.

الناس إن السبيل إلى الخلاص من أكداركم هو أن تتعلموا كيفية النظر إلى الوجود بجميع تجلياته ومظاهره نظرة جمالية.

ولا شك أن النورسى قد أستوعب هذه الحقائق وكتب عن الجمال من خلال جلال كمال الجمال وباتصال ذات الجمال نفسه، وهذا هو السر الحقيقى في عدم فقدان تلك الرسائل لروحها وعمقها بالرغم من ترجمتها إلى العديد من اللغات، فالقارئ للرسائل يلمس بأن فيها سرا خفيا كامناً يتحكم فيها، وهذا السر لا يعدو أن يكون هو تجلى أسماء الله الحسنى، التى تشربتها روح النورسى، بكل ما تخفيه من أبعاد روحية، على أن هذه الأسماء في حد ذاتها هى جزء لا يتجزأ من فيض الجمال الإلهى المطلق.

وقد نبهته هذه النتيجة أن ينظر إلى جميع الموجودات في الكون والأحوال حتى يسبغ عليها نظريته التى بها يحولها إلى أمور ومسائل جمالية، فيجد لها مسوغاً في القبول العقلى والقلبى من خلال فرضية هامة هى فهم دقائق معانى الأسماء الحسنى.

يقول النورسى: " إن أسماء الله الحسنى لها تجليات لا تحد ولا تحصر، فتنوع المخلوقات إلى أنواع لا تحصر ناشئ من تنوع تلك التجليات غير المحصورة، والأسماء بحد ذاته لابد لها من الظهور أى تستدعى إظهار نقوشها، أى تقتضى مشاهدة تجليات جمالها في مرايا نقوشها واشهادها، بمعنى أن تلك الأسماء تقضى بتجدد كتاب الكون، أى تجدد الموجودات آنا فأناً، باستمرار دون توقف، أى أن تلك الأسماء تقتضى كتابه الموجودات مجدداً وببلاغة حكيمة ومغزى دقيق بحيث يظهر كل مكتوب نفسه أمام نظر الخالق جل وعلا وأمام أنظار المطالعين من الموجودات المالكة للشعور ويدفعهم لقراءته

كما أن الفعالية الموجودة في المخلوقات قاطبة نابعة من لذة ومن شهية ومن شوق، بل أن في كل فعالية منها لذة، بل كل فعالية هى بحد نوع من اللذة، (ولله المثل الأعلى) فهناك شفقة مقدسة مطلقة ومحبة مقدسة مطلقة تلقيان به سبحانه

وتلائمان غناه المطلق وتعاليه وتقدسه وتوافقان كماله المطلق، ثم إن هناك شوقا مقدسا مطلقا يليق به ات من تلك الشفقة المقدسة والمحبة المقدسة، وهناك سرور مقدس ناشئ من ذلك الشوق المقدس وهناك لذة مقدسة لائقة به - إن جاز التعبير - ناشئه من ذلك السرور المقدس، ثم أن الرحمة المطلقة النابعة من تلك اللذة المقدسة، وما ينشأ من المخلوقات قاطبة من رضى عام وكمال شامل من انطلاق استعداداتها من القوة إلى الفعل وتكملها، ضمن فعالية القدرة.. فما ينشأ من كل هذا من رضى مقدس مطلق - إن جاز التعبير - وافتخارمقدس مطلق.. كل ذلك بما يليق ويخص الرحمن الرحيم سبحانه يقتضى فعالية مطلقة وبصورة لا تحد.

وحيث إن الفلسفة والعلم تجهلان هذه الحكمة الدقيقة في الفعالية الجارية في الوجود، خلط أصحابها بين الطبيعة الصماء والمصادفة العشواء والأسباب الجامدة في غمرة هذه الفعالية بالبصيرة العليمة الحكيمة، فما اهتدوا إلى نور الحقيقة بل ضلوا ضلالا بعيداً.. "[١] وكان لابد من الرجوع إلى دقيقات فهم تبنى على حلقات الكتاب والسنة الصائبة، فلم يك حينئذ بد من الرجوع حيث مراقى الجمال والكمال في الطبيعة والكون المنظور على نحو من تجلى الأسماء الحسنى فيها.

وليس هذا فيما يتعلق بالكون المنظور، وإنما سرى بأصله في دقائق الأشياء والبسيط منها، والتى قد لا نعبأ بوجودها، حيث تخفى بدورها حالة خاصة من الجمال كما يدل على ذلك مضمون كلام النورسى، وذلك لأن هذه الأشياء جميعها من صنع الخالق المتصف بجميع الأوصاف الكمالية، فليس غريبا أن تقتبس حظها من الجمال.

يقول النورسى: " إن الصانع كما أنه واجب الوجود وواحد؛ كذلك هو متصف بجميع الأوصاف الكمالية؛ لأن ما في المصنوع من فيض الكمال إنما هو مقتبس من ظل تجلى كمال صانعه، فبالضرورة يوجد في الصانع جل جلاله من الجمال والكمال والحسن ما هو أعلى بدرجات غير متناهية من عموم ما في عموم الكائنات من

(١) الكلمات صـ ٢١.

الحسن والكمال والجمال؛ إذ الإحسان عموم الكائنات من الحسن، والكمال فرع لثروة المحسن ودليل عليها، والإيجاد لوجود الموجد، والإيجاب لوجوب الموجب، والتحسين لحسن المحسن المناسب له. [١]

وهنا يرد هذا السؤال وهو هل يمكن أن يكون الجمال وسيلة من وسائل مداواة مشاكل العالم النفسية والروحية؟

والجواب كما أرى عند النورسى هو بالإيجاب، وذلك لأن النورسى يؤسس رؤية جمالية تقوم على جعل الجمال قيمة مركزية في حياة الفرد والجماعة على حد سواء، فقد كان يرى أن الجمال هو القيمة التى تنتهى إليها وعندها كافة المعانى الكونية.

ولقد وضع النورسى مقارنة تفيد ذلك على سبيل تقريب المعقول للحس فيقول: فإذا قارنا بين نظرتين إحداهما جمالية والأخرى عامة وجافة وخالية من أى معنى فلا شك بأن النظرة ذات البعد الجمالى تستطيع أن تتفاعل أكثر مع المعطيات الواقعية والوجودية ومع الكون وهو سنن الله في الكون؛ والنظرة التشاؤمية إلى الواقع لن تنتج سوى العطاء المبتور والفاشل وهو عطاء ماله النسيان والتهميش والإهمال، في حين أن العطاء الذى ينطلق من رؤية جمالية ينتج عطاء إيجابيا، والمتشبع بالجالى في أسمى معانيه لا يمكن أن يفكر في الانتحار، أو مغادرة الحياة متى شاء ذلك على سبيل التمثيل لمجرد أن همومه وأحزانه أكبر من أن تستوعبها نفسه، وأكبر من أن تصاحب وجوده في الحياة فالأفضل هو مغادرة الحياة، وهذا هو مضمون الحكاية الثامنة التى يسردها النورسى في الكلمة الثامنة حيث يعقد النورسى مقارنة بين شقيقين يذهبان

(١) دلائل الإعجاز في مظان الإيجاز صـ ١٥٤ وما بعدها.

معا اى سياحة طويلة، إلى أن وصلا إلى مفترق طريقين، فسألا رجلا كان موجودا هناك عن أى الطريقين أفضل، فأخبرهما بأن طريق اليمين يسود فيه القانون والنظام، ويتحتم الخضوع لهما، من أجل الشعور بالأمان والسعادة، وأما طريق الشمال فعلى الرغم مما يتوفر عليه من حرية وتحرر، إلا أن في ثناياه يوجد الشقاء والهلاك، وتستمر الحكاية مترصدة خطوات الأخوين اللذان يواجهان من المصاعب والمحن الشئ الكثير.

فالشقيق الثانى الذى عبر طريق الشمال ما أن عبر الوديان العميقة والمرتفعات العالية الوعرة حتى دخل وسط مفازة خالية وصحراء موحشة؛ فسمع صوتاً مخيفاً، ورأى أن أسداً ضخماً غضوباً قد أنطلق من الأحراش نحوه؛ ففر منه فراراً وهو يرتعد خوفاً وهلعاً، فصادف بئراً معطلة على عمق ستين ذراعاً فألقى نفسه فيها طلباً للنجاة، وفى أثناء السقوط لقيت يداه شجرة فتشبث بها، وكان لهذه الشجرة جذران نبتا على جدار البئر وقد سلك عليهما فأران، أبيض وأسود، وهما يقضمان ذينك الجذرين بأسنانهما الحادة، فنظر إلى الأعلى فرأى الأسد واقفاً كالحارس على فوهة البئر، ونظر إلى الأسفل فرأى ثعباناً كبيراً جداً قد رفع رأسه يريد الاقتراب منه وهو على مسافة ثلاثين ذراعا، وله فم واسع سعة البئر نفسها، ورأى ثمة حشرات مؤذية لاسعة تحيط به، نظرا إلى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة تين، إلا أنها تثمر بصورة خارقة أنواعاً مختلفة وكثيرة من فواكه الأشجار ابتداء من الجوز وانتهاء إلى الرمان ". [١]

واما الشقيق الآخر فقد مضى في طريقة دون عناء ذلك لأنه لا يفكر إلا في الأشياء الجميلة، ولا يأخذ بعنان الخيال إلا بما هو جميل ولطيف؛ لذا كان يستأنس بنفسه ولا يلاقى الصعوبة والمشقة كأخيه، ذلك لأنه يعرف النظام، ويعمل بمقتضى الولاء والاتباع، فيرى الأمور تسهل له، ويمضى حراً منطلقاً مستظلا بالأمان

---

(١) راجع: الكلمات صـ ٣١ وما بعدها.

والاستقرار، وهكذا مضى حتى وجد أخوه الشقى قد دخل – من قبل – في مثل هذا البستان أيضاً غير أنه انشغل بمشاهدة الجيف الميتة وانعام النظر فيها مما أشعره بالغثيان والدوارفغادره دون أن يأخذ قسطاً من الراحة لمواصلة السير، أما هذا الأخ فعملاً بقاعدة " انظر إلى الأحسن من كل شئ " فقد أهمل الجيف ولم يلتفت إليها مطلقاً، بل استفاد مما في البستان من الأشياء والفواكه. وبعدما استراح فيه الراحة التامة مضى إلى سبيله ".(١)

فهذه القصة تشير إلى قمة رؤية الكون والوجود بعين الجمال ومدى تأثير ذلك في توجيه النفسية الإنسانية، فهذا الأخ الطيب الذى وظن نفسه على رؤية العالم الذى يحيط به عين راضية مفعمة بالجمال، وبعين تمكنه من التغلب على كل العوائق والموانع، نراه وقد تمكن بالفعل من التغلب على كل مخاوفه وأبعد كافة الهواجس التى خامرت عقله متمما سيره بقلب واثق في الله تعالى ونفس مطمئنه، فمما لا شك فيه أن الحسنة لا تجلب إلا الحسنة بناء على مقولة النورسى ". (٢)

وبهذا أدراك الأخ الطيب الجانب العملى للجمال، وأدراك حقيقته الفعلية، ونظراً لأن الحقيقة لا يختلف مذاقها وإن اختلف أبعادها لأنها حقيقة وهى تدرك يقيناً بصيغة واحدة وإن اختلف وسائل البحث عنها والسبل.

يقول النورسى: " والحقيقة بذاتها جميلة، ومع إدراك جمال الحقيقة فإنه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقره فيستحق رحمته. (٣)

والإنسانية بحاجة إلى العودة إلى مثل هذه الروحانية التى تتعود على النظر إلى الجمال والتشبع به، فتذوق المشاكل، وتتلاشى الهموم، فتتذوق العقول لذات أفراح الكون، وتذهل عن اتراحه ،

---

(١) راجع الكلمات صـ ٣٣.

(٢) المصدر نفسه صـ ٣٤.

(٣) الكلمات صـ ٤٣

يقول النورسى: " فهناك التى يبدو في ظاهر أمرها قبيحاً مضطرباً ومشوشاً، إلا أن تحت ذلك الستار الظاهرى أنواعاً من جمال رائق، وأنماطاً من نظم دقيقة"[١]

والفرق شاسع عندما يحول المؤمن هما من هموم ذاته، ومصيبة من مصائبها إلى عبادة يرددها من خلال عبارة "الحمد لله على كل حال " فهى لحظة العشق الإلهى الذى يرى فيه الإنسان حقيقة الحمد على الرغم من كثرة المشاكل والأعباء، التى تفرض على غير العاقلين المتمسكين الترح والغضب، إلا أن هذا الإنسان الجاد يرى فيها الفرح لأنه اختبار سرعان ما يزول ويبقى أثر النعمة عليه واضحاً، وأثر العبادة عليه سابغاً.

وكذا فإن هذه العبارة تحتوى من الدعم النفسى ما يعجز عنه أقوى الأطباء النفسانيين، وتعجز عنه أحدث النظريات في علم النفس، وأدق الوصفات العلاجية، فبان من منهج النورسى أنه لا يحتاج إلى إرادة صلبة، والى لحظات تأمل صادقة تبدأ بإنعام النظر في كل ما يمكن أن يكون دليلا على جمال الخالق فالموجودات" الشبيهة بالمرايا مع أنها تتعاقب بالزوال والفناء فإن وجود تجليات الجمال نفسه والحسن عينه في وجهها، وفى التى تعقبها، يدل على ان ذلك الجمال ليسَ ملكاً لها، بل هو آيات حسن متره، وامارات جمال مقد ".[٢]

فالموجودات جميعاً بما فيها الإنسان نفسه تختزن من الحسن والجمال ما هو حرى بهذا الإنسان أن يمضى العمر كله هائما فيها ومتلذذا لذة تعبد في هذا الجمال، الذى هو قبس من الجمال الإلهى المطلق، الذى يستحيل أن يتبدل جماله أو ينقلب قبحا، فهو دائم وباق، لأنه هو الحقيقة المطلقة، ومن المستحيل أن تنقلب الحقيقة، لأن انقلاب الحقائق محال، وأشد محالاته هو انقلاب الضد إلى ضده، كأن ينقلب

(١) المصدر نفسه صـ ٣٥٠.

(٢) الكلمات صـ ٧١.

الجمال المطلق، إلى القبح الحقيقى ! فيتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهور جلياً إلى ضده مع بقائه على ماهيته هو أشد محالا وأكثر عجباً في أحكام العقل ".(١)

وهنا تبرزقدرة النورسى على تغيير مسار المفاهيم وشحنها دائما ببعد إيجابى وكأنه يريد أن يعلم الإنسان بصفة عامة وليس الإنسان المسلم قط كيفية النظر إلى العالم والأشياء والواقع وكل ما قد يتبادر إلى الذهن، نظرة إيجابية، مسترشدا بمنهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – القائم على التبشير لا التنفير، والقائم كذلك على المنهج القرآنى الذى بالرغم من كونه كتابا يقرن الوعيد بالمصائب الدنيوية والأخروية وبعدم القدرة على رؤية الحقيقة الربانية والإقبال عليها بحيوية، ويقرن في الوقت نفسه السعادة الدنيوية والأخروية بالإقبال على المنهج القرآنى القويم الذى يرشد الثقلين الجن والإنس إلى حقيقة الآيات الكونية التى سطرها قلم القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع وشكلها على أوراق الأزمنة والعصور.

فالناظر إلى الموجودات يجب أن ينظر اليها على طريق العناية الربانية، فيرى بالبصيرة أدق من البصر فينظر في كل حرف فيها ويعتبر بما فيه من المعانى وانه ذو مغزى، أى ينظر اليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل، فيقول: ما أحسن خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل، وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمال الحقيقى للكائنات." (٢)

إن الجمال الحقيقى الذى يجب على الإنسان أن يتعود عليه فيسترشد به، ويهتدى بأصوله إنما هو الجمال الذى يقود إلى معرفة الخالق المبدع، وذلك لأنه الجمال الذى يقود إلى معرفة الله، ومعرفة اكتشاف الحقيقة المطلقة، وتزكيه الروح، والرقى بالروح عن متاهات المادة الفانية، وبها تتخلص النفس من أمراضها ومن همومها التافهة وأوهامها القاتلة، إلى حيث نبرات الجمال الذى لا يزول، وهو جمال الصنعة بإيجابية جمال الصانع، وروعة المصنوع بإيجابية روعة المنشئ، وكل ما لا

---

(١) الكلمات صـ ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه صـ ٣٧١

يوصل على هذه الحقيقة يمثل الجمال زائل بل الكاذب الموهوم، ومن ثم فلا فائدة ترجى منه سوى الفتنة.

والقرآن الكريم وهو الذى بين تلك الحقيقة النورانية بجميع فروعها وأغصانها، وبجميع غاياتها وثمراتها بياناً في منتهى التوافق والانسجام بحيث لا تعيق حقيقة أخرى ولا يفسد حكم حقيقة حكما لأخرى، ولا تستوحش حقيقة من غيرها، وعلى هذه الصورة المتجانسه المتناسقة بين القرآن الكريم حقائق الأسماء الإلهية والصفات الجليلة والشئون الربانية والأفعال الحكيمة بياناً معجزاً بحيث جمع أهل الكشف والحقيقة وجميع أولى المعرفة والحكمة الذين يجولون في عالم الملكوت، يصدقونه قائلين أمام جمال بيانه المعجز والإعجاب يغمرهم: " سبحان الله ! ما أصوب هذا ! وما اكثر انسجامه وتوافقه وتطابقه مع الحقيقة وما أجمله وأليقه ".[١]

وفى النهاية أقول: إن هذه الرموز ليست رموزا مجنحة ولا رموزا معقدة بحيث يستعصى على المتلقى فهم أبعادها بالرغم من أن النورسى تكفل بشرحها وإبراز معانيها، وهى رموز تحيل، إذا ما نظرنا اليها بصورة مجملة، على كافة مظاهر الإنسان النفسية والمعيشية، وحتى المظاهر التفكرية التى تدل على الكون وعلى خالقه، لكنها في الحقيقة نبرات نورانية صدرت عن وعى وعمق ودربه عقلية، وظهرت فيها لمعانات النور وإشراقات الإحساس الصادقة، وتجليات نبرات الحق تعالى، فهى لحظات لمعانية فردانية يحس فيها الإنسان بوافر العطاء، وبكامل الصفاء، فيسبغ عليه المولى جل في علاه، من حقائق الوفاء، ونور الصفاء فيسير في خلوته كالغريق في بحار النور، والسابح في الهواء علا فوق الطيور، فتجسدت المعانى أمامه فرآها وشعَاعات الظهور، يعلمها المتكفل بذات الصدور، ويثق بمعانيها وما فيها الواقف على جليات الأمور.

---

(١) الكلمات صـ ٧٦.

ولما كان التجلى والفيض بالتحلى إشراقات أضاء الله بها على النورسى فلم يك هذا إلا لحبة المفرط لصفات الله وأسمائه الحسنى، ونظراً لأنه علم تمام العلم – كما هو عندى – أن الله تعالى لا يأتى بشئ في الوجود هملاً، وإنما يأتى به لحكمه تناسبه، وعبارة تلائمه، وعلة تسايره، فما بالك أيكون ورود الأسماء الحسنى على هيئة البسط والتطويل وذكر أسماء جديدة وصفات معينة؟ كانت النظرة التى يحكمها القلب أنه لا يمكن ورود الأسماء الحسنى على هذه الصورة مطلقاً،

وإنما يجب أن يكون هناك تدخل حقيقى ولمعانات واضحة لكل اسم، وقد بان له بطبيعة التصوف الإشراقى العالى المحكوم بالكتاب والسنة، ما فيها من لمعانات وكلمات مسطرة بالنور في رسائل النور، تعين على فهم المستور، وتكشف حقائق غابت عن جلايات الصدور.

المبحث الثاني:

طريق عبادة الله تعالى من خلال الأسماء الحسنى:

لقد كان النورسى من المتحققين بالحقائق، القائمين على تتبع دقيقات الدقائق متطلعاً إلى ذات الرقائق، متربعاً على عرش الشقاق، فأدرك أن أولى المعارف نبرات التعرف على الله، ثم السمو برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعرفة الله تبارك وتعالى تكون بالروح وبالقلب وابرز تلك الدقائق معرفة مراتب التوحيد الحضورى الشهودى، وقد أبرز في الوقت نفسه الجانب الروحانى في الوصول إلى التوحيد بطريقة شمولية على عكس طرق الفلاسفة التى تعتمد العقل في كشفها وبيانها.

وإن تحقق المعرفة الكاملة بالله تعالى تترابط أصولها في التعميق على سبيل الروح والإشراف ولمعانها في القلب بمعرفة دقائق تفاصيل الأسماء الحسنى، فهى أوفى الطرق لعبادة الذات الإلهية والتعرف عليها.

يرى النورسى ان أسماء الله الحسنى قد انعكست في الإنسان كما انعكست في باقى المخلوقات، فالنورسى – كما أرى – قد قدم رؤية مركبة عن علاقة الإنسان بأسماء الله الحسنى، وهى رؤية تستقى معانيها من كل المكونات المعرفية الموجودة في القرآن الكريم ،والموجودة كذلك في الوجود، أو القرآن المنظور، والعنصر المحورى في هذا هو الإنسان، " أنا " فأنا المقصودة لديه هى مفتاح الكنوز الموجودة المختفية في أسماء الله الحسنى، ومن خلالها تنفتح جميع كنوز الوجود، لكن ذلك كله مرتبط في العمق بوعى " أنا " نفسها، لأن الأنا في حد ذاتها طلسم عجيب فعندما ينفتح هذا الطلسم، وتظهر كنوزه تنفتح أسرار الوجود وتظهر كنوزه وتبرز، فـ "أنا" وحدة قياس لمعرفة سر الربوبية، وشؤون الألوهية.

وقد بنى النورسى هذه الحقيقة البرهانية – كما رأى – على دقيقة الفهم لقول الله تعالى (وفى أنفسهم تبصرون) فكان في الأنا لتحقيق ذات الفهم الواعى من قصورها، مع بيان إدراكها وتنظيمها، وعلاتها ومعلولاتها فتتصدى الروح مع العقل

في البنيان لحقيقة الأنا المعرفية، ومنها يصل إلى مستوى تحقيق العبودية لكمال عظمة الربوبية.

وبهذا فقد بان أن أجمل ما يمكن أن يقدمه مصلط في مستوى بديع الزمان النورسى للإنسان الحائر في لغز المخلوقات، والإنسان المسكون بأوهام العصر، الواقع تحت تأثير طغيان المادة وتسلطها، والباحث عن حقيقة وجوده في هذا الكون الفسيح، فأجمل ما يقدم هو تصوره بخصوص أسماء الله الحسنى، في علاقتها بالوجود، ذلك أن الإنسان جزء من هذا الوجود الفسيح، سفما من " علم أو معرفة أو معنى سام أو صفة جميلة على هذه الأرض إلا وتستمد حياتها، وتنال قوت بقائها من واحد من هذه الأسماء المقدسة الطاهرة، أو من جملة منها".[1]

فلقد حمل الإنسان الأمانة العظمى وهى أمانة تعمير الكون، وبناء الحضارة، من زاوية كون الله تبارك وتعالى هو المؤثر في صيرورة التاريخ وهو الفاعل في حركة الإنسان الحضارية، فلإنسان باعتباره ارقى المخلوقات وأشرفها، ملزم بأن

يتذوق أسماء الله الحسنى بشكل صحيح، ليتمكن بالفعل من تقل تأثها إلى الواقع والحياة في شكل تشييد للحضارة، وبناء ملموس ومحسوس لملك الأسماء الإلهية الحسنى في الحياة.

وبناء على هذه الرؤية العميقة، نستطيع القول بأن النورسى قد قدم علاجا آخر للإنسانية الضالة، والتى تعيش ازمة السقوط الحضارى، وتعيش على هامش البناء الحضارى الصحيح، وكأن النورسى يريد أن يقول للإنسانية كافة: إن من يريد أن يتحكم في المادة فلا يكن هذا إلا من زاوية فهم حقيقة تجلى اسم من أسمائه تعالى، وإن من يريد تسخير الكون خدمة للإنسان، وتقربا اليه تعالى، يستحيل عليه أن يصل إلى هذا التسخير إلا أن يفهم حقيقة التجلى للأسماء الحسنى في ذلك، ولا

---

(١) أديب الدباغ ، مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي ، مركز الكتاب للنشر ط دار القاهرة ط الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م صـ ١٠.

يكون هذا فيما يصل بالبشرية إلى التدمير أو فيما يضر الإنسانية، ولا يجلب لها الطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة فما أعظمها من أمانة الإنسان على تحملها.

يقول النورسى: " أيها الإنسان! إن ما تملكه من نفسى ومال ليس ملكاً لك، بل هو أمانة لديك، فمالك تلك الأمانة قدير على كل شئ عليم بكل شئ رحيم كريم، يشترى منك ملكه الذى عندك ليحفظه لك، لئلا يضيع في يدك، وسيكافؤك به ثمناً عظيماً، أرأيت إلى منتهى الكرم، فأنت لست إلا جندياً مكلفاً بوظيفة، فأعمل لأجله واسع باسمه، فهو الذى يرسل إليك رزقك الذى تحتاجه، ويحفظك مما لا تقدر عليه.

وهذا التجلى في الوجود الإنسانى كما رأه ويراه النورسى قائم على اسم الله القيوم، فهذا الاسم قد عبر غاية التعبير عن حقيقة الخلق والوجود، فما كان الوجود إلا بقيوميته، والحياة بمظاهرها إلا لقيوميته، والترتيب والإبداع في الكون إلا قيامه منه.

وقد أسدل هذا الاسم وجعل له شعاعاً خاصاً في كتابه اللمعات فهو يقول: " إن جلوة من تجليات القيومية على الكون، وشعاعاً من نورها مثلما يعم الكون بمظاهر الواحدية والجلال، فإنه يبرز على هذا الإنسان الذى يمثل محور الكون وقطبه بالإنسان الذى يمثل أكمل مظهر من مظاهر تجلى اسم القيوم أى أن القيومية تتجلى في الإنسان تجليلاً يجعل منه عموداً سائداً للكائنات جميعا، بمعنى معظم الحكم الظاهرة في الكائنات وأغلب مصالحها وغاياتها تتوجه إلى الإنسان." (١)

وهنا يبين أن الحياة والموت في الوجود ما هما إلا تجليات لأسم الحى القيوم، وبهما تستمر الحياة وقتها فتنال منها أصولها، ويستمد الموت على التأقيت أصله إلى أن تفيئ الحياة راجعة، فما الحياة والموت إلا وجهان حقيقيان تحقق فيهما التجلى الإلهى الواحد الأحد باسميه الحى القيوم، فحياة الإنسان مع المخلوقات قبل الوجود

(١) كليات رسائل النور ، اللمعات صـ ٥٩٣.

أبقاها، وبعد الوجود أظهرها وأجلاها، وفى الموت حققهـا ووافاهـا، وبعـد المـوت أرجعها وأكساها.

إن غاية حياتك هذه ونتيجتها هى أن تكون مظهرا لتجليات أسماء ذلك المالك، ومنعكسا لشؤونه الحكيمه.. وهذا هو المراد في تتبع الأسماء الحسنى بحيـث يجعـل أسماء الله الحسنى موصلة على نبرات الحياة وشئونها، فإذا ما أصابتك مصيبة فقـل: (إنا لله وإنا إليه راجعون) [(١)] أى أنا طوع أمر مولاى، فإن كنت قادمة أيتها المصيبـة بإذنه وباسمه، فأهلاً ومرحباً بك، فنحن لا محالة راجعون إليه لامنـاص مـن ذلـك، وسنحظى بالمثول بين يديه، فنحن حقاً مشتاقون إليه... فما دام سيعتقنا يومـا مـن تكاليف الحياة فليكن ذلك على يديك أيتها المصيبة.. فانا مستسـلم راض؛ وإن كـان الأمر والإرادة قد صدر إليك منه سبحانه لأجل الإبـتلاء والاختبـار لتحقيـق مـدى محافظتى على الأمانة وظهور مدى قيامى بواجباتى، فلا أسلم ما أستطعت أمانة مالكى لأيد غير أمينة، ولا استسلم لغير أمره ورضاه سبحانه." [(٢)]

وهذا تتحصل للإنسان قواعد الئتلاف الحقيقى في الركن اليمانى القائم بـأداء حق الله تعالى، والمحس بقوام الإنسان في ذاته، والمتتبع بالخوف لأمر الله، وبالحـب للشوق والأنس بالله، فمن كان هذا هو توجيـه سيحصـل علـى سـعادة الـدارين، وسيحصل على طمأنينة النفس والروح، وستكون نظرته للحياة نظرة إيجابية، لأنه قد استقر في قرارة نفسه أن الحياة الدنيا فانية وأن الحياة الحقيقية هى حيـاة الآخـرة، وليس معنى ذلك انزواء الإنسان في ركنه متعبدا زاهدا في الحيـاة منتظـرا المـوت والسفر الأخير، بل على العكس من ذلك فالنورسى يحث الناس حثا على تذوق أسمائه تعالى خاصة الحى القيوم، ليتمكنوا من فتح طلاسيم معقل الصفات بمحبة الذات، ومن خلالها فتح طلاسيم الكون وكله بل وتسخيره وفقاً لشعاعات النور.

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم (١٥٦)

(٢) كليات رسائل النور ، اللمعات صـ ١٨٣.

ومن الوصفات الأخرى التى تحمل في عمقها دواء داء العصر، أداةأسماء الله الحسنى وتجليلها في الكون، وهو معيار نظن أن التفاعل معه علــى الصــورة التــى صاغها النورسى بها وطبقها، كفيلة بأن تغير نظرة الإنسان لكل ما يحيط به فيصــير إقباله عليها من داخلها، يخالف كلية الإقبال عليها خــارج إطــار تجلــى أســماء الله الحسنى.

وبهذين الاسمين تتحقق عبودية العبد لا أن ينال ركوداً وصفياً، وإنمــا لينــال قسطاً وافراً من العبودية، الحقيقية فيحس بأنس وطمأنينــه ولــذة، يعلمهــا العقــل، ويرتوى بها القلب، ويصفها اللسان، وتشاهدها الأركــان، فتتعمــق بهــا المعــارف، وتتزين لها الأجساد لحظة الصوارف.

المبحث الثالث:

تعدد العوالم المنصرمة والموجودة بأثر التجلي لأسماء الله الحسنى

فى الحقيقة لقد كانت رسائل النور مشروعاً للإحساس الحقيقى الموصول بالمحبة الأبدية التى يضطلع إليها الإنسان فلا يحسها بالبدن بمقدار إحساسه بها بالروح والقلب والعقل، فهى لحظات واضحات تفيد الاستسلام لا التخاذل، تفيد اليقين لا الظن والإخلال، تفيد المعرفة لا الجهل والنبذ بالباطل، فمن خلال الشعاعات أوضح النورسى حقائق بينات واضحات لا ينظر إليها ولا يفكر فيها إلا من رضى بالله ربا، فعلامة الرضا هى أن تحول المصائب المبكيات اللاهيات العابسات العبوسات إلى إيجابيات واضحات قانعات، فلو نظرت إلى المصيبة فانظر إليها بعين الرضا، فإنها تتحول فترى فيها ما تحبه من العجب العجاب.

وقد تمثل النورسى هذه الحقيقة في إطار حياته في سجنه، وأطلق عليه المرحلة اليوسفية، حيث نظر إلى السجن على أساس أنه مرحلة انفرادية للعزلة لتجنب العبادة، وتذكر الإنسان بالقبر، فأيهما أشد عليه، وأيهما يخاف؟ إنه القبر؛ لكن الحبس كذلك فرضى به، وارضى به من معه، فتذاكروا العلوم، وتقربوا إلى الله تعالى فهموا بفهم المضمون من القرآن الكريم.

ومن ثم فقد وجدنا النورسى يحول المعدومات إلى حقائق جليات، لأنه ينظر إليها نظرة تخالف كثير النظرات، فالعوالم المنصرمة كثيرة، منها الأخلاق الفاسدة، ومنها الموت المادى، ومنها العدم الأولى الممكن، ومنها: ضياع الإيمان والإصرار على الكفر والطغيان، ومنها، التحبب بالجهل إلى الجهل، والبقاء على الجهل وعدم الإدراك، ومنها: الشقاء الحاصل بالتفكير في السوء وسوء الظن والتقدير بالناس، ومنها ضياع البهاء من الوجوه لعمل المعاصى والبعد عن قوانين الله تعالى، ثم يكون عوالم مادية إما قبل العالم الذى نعيشه، وأما بعد العالم الذى نعيشه، وإما فناء في العالم كالأغراض ، والأحوال، والمذاهب، والأفكار.

ثم الحديث عن الوجود وعن العلوم والمعارف والإدراكات والأصول، كلها لها تجليات من الأسماء الحسنى تعدلها،فالموت له تجلى، كما للحياة تجلى، والعلم على حده له تجلى، فعلوم الطب لها تجلى، وعلوم الطبيعة لها كذلك، وعلم الموازين والمقادير لها تجلى، وأصول المعارف واليقينيات لها تجلى.

لذا فعلينا أن ننتظر إلى النورسى لنراه كيف يعالج القضايا التى تحتاج إلى مئات من المجلدات.

والحقيقة إن هذه العوالم المنصرمة قد وجدنا النورسى يقوم بتحليلها على وفق إشراقى صوفى تهذيبى قرآنى عقلى مبدع تفكر في أبعادها فحققها على صيغ الإبداع والنور، وبهذا فلقد أتى بالتجليات على وفق إشراقى صوفى تهذيبى قرآنى عقلى،مبدع تفكر في أبعادها فحققها على صيغ الإبداع والنور، وبهذا فلقد أتى بالتحليات الأسمائية والإحصاءات العلية، وعالجها من خلال النظرات التحقيقية لأسماء الذات العلية، الواضحة الجلية.

يقول الإمام النورسى عن تجلى أسماء الله الحسنى في العوالم الكونية: " يتجلى عنوان من عناوين اسم من الأسماء الحسنى، في كل عالم من عوالم الكون، وفى كل طائفه، ويكون ذلك الأسم حاكماً مهيمناً في تلك الدائرة، وبقية الأسماء تابعة له هناك، بل مندرجة فيه "[١]، ويقول الإمام ابن قيم الجوزية عن تجلى أسماء الله الكريمة في القرآن: " القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته ".

ومن العلوم أن الأسماء الحسنى والصفات العليا الذاتية تمثل حقيقة وجوده الحى الفعال والغنى بالعلم والقدرة بما لا يوصف ولا يجد ومن غير كثرة، وهذا يجعلنا نذعن ونوقن بحيَطة وجوده على كل شئ، ونتعرف عليه بالطريقة التى تتحير في عظمتها العقول، ونقف له إجلالاً وتكريماً، أهل المعقول والمنقول، وليس هى ألفاظ بما هى لا معنى حقيقى لها، أو معانى لا واقعية لها.

---

(١) راجع: المكتوبات للنورسي

فالله تعالى له وجود لا يجد بوهم وعقل، ولا يعرف إلا بالإيمان به والإذعان لحيطته وعلمه وقدرته على كل شئ وإن الأسماء الحسنى الإلهية في الحقيقة هي تعبير عن الحقيقة الخارجية المقدسة التى لا يحيط بها شئ، والتى تعرفنا على شئ من كمالها ومالها من الغنى والشأن العظيم، وهى تعبر عن كماله تعالى وغناه في ذاته ولعلمه المسبق أراد سبحانه ظهور كل شئ في الوجود بأحسن صورة وأكمل إتقان ما يمكن، وبحيث لا يمكن أن يتصور أدق واحكم منه، فخلق الكون ووهب لمن يشاء العلم والقدرة والحياة وكل كمال فضلاً عن نفس وجود الأشياء، كما إنه تعالى هدى كل شئ لما يناسب شأنه وغاية وجوده، ووفق ما يتجلى به: من نور وجوده الغنى الذى له كل كمال مطلق، والذى يعبر عنه بالأسماء الحسنى والصفات العليا، وبالقسط والعدل تظهر ويبطن منها ما يظهر ويبطن، فيوجد كل شئ في الكون موزون ولا يمكنه ان يطغى أو يفسد الوجود بنفسه من دون تقدير وقضاء مسبق، فظهر الوجود والكون حسب علمه السابق ووفق ما قدر لكل موجود منه، وبالظهور للأسماء الحسنى وتجليها في الكون ينال كل شئ وجوده وكماله بحسب حاله وشانه وغايته ومن غير إمكان التخلف عن أمره تعالى، ولا مانع مما يريد سبحانه، وهو وحده لا شريك له، له الأمر من قبل ومن بعد، وهو على كل شئ قدير ومحيط، وهو الواحد القهار ذو الجلال والإكرام.

ومن ثم فالكون كله يشير إلى وجوده وكماله ونعمة وهو تعبير عن ظهور أسماء الله الحسنى والصفات العليا في الوجود بالعدل والإحسان، وإنه وفق علمه المحيط بكل شئ، فلا يكون شئ إلا بأحسن صورة مباركة ومتقنة، فهو تعالى العدل في وجوده وصفاته، والعادل المقسط بما يظهر ويتجلى به من الأسماء الحسنى في الوجود، وإذا عرفنا هذا فلنتعرف بعض المعرفة على معنى ظهور نور الأسماء الحسنى الإلهية بالعدل والإحسان.

ومن المعلوم أيضاً أن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن أيا كان حقيقة سامية عالية، وأن تلك الحقيقة تستند دائماتً إلى أسم من أسماء الله الحسنى

وباستنادها إلى ذلك الأسم، الذى له حجب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينه، يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلك الصنعة، لكل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلاً.

فالهندسة مثلاً علم من العلوم، وحقيقتها وغاية منتهاها هى الوصول إلى أسم (العادل والمقدر) من الأسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الأسم، بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم الهندسة.

والطب هو علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، ومنتهاه وحقيقته يستند أيضاً إلى اسم من أسماء الله الحسنى وهو (الشافى) فيصل الطب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لأسم (الشافى) في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذى يمثل صيدلية عظمى.

وكذلك العلوم التى تبحث في حقيقة الموجودات، كالفيزياء، والكيمياء، والتى هى (حكمة الأشياء) يمكن أن تكون حكمة حقيقة بمشاهدة التجليات الكبرى لأسم الله (الحكيم) جل جلاله في الأشياء، وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها، تصبح تلك الحكمة باستنادها إلى ذلك الأسم (الحكيم) حكمة حقا ". [١]

ثم قس من هذه الأمثلة على بقية العلوم والفنون، فكل أسم من أسماء الله الحسنى يتجلى فيما ينابه من العلوم والفنون.

وهكذا تتحقق الأسماء الحسنى بتجلياتها الحقيقية في العلوم والمعارف، فكل علم يتخذ ما يناسبه من الأسماء الحسنى الملائمة له، فاسم الله العادل المقدر، والشافى والحكيم، هما في الأساس دفعات لتجدد العلوم، كما أنها تجليات لروائع الفهوم، فمن احتبَى هذه الأسماء في علمه لأفاد منها ما لم يحققه غيره ولو كان من كان في أصل مروم.

---

(١) الكلمات ، الكِلمة العشرون

ثم تأتى مرحلة توطيد العلاقات بالتجلى للأسماء الكريمات: كالمحصى والمقدر والحسيب، والجليل، والتقدير ببين أنه لا بد من وجود علاقة وطيدة بين نظم الكــون الذى يتجلى بالموازين الدقيقة، والتقدير المحكم، والمحاسبة الفائقــة، فــي تهيئتــه العظيمة، وبين نظم القرآن المجيد.

والى هنا نتحقق دوائر الارتباط الموســوم بالتقــدير، والمفهــوم بالاعتبـــار، والمرئى بالقلب، والمنظوم بالنفس والاطمئنان ليلعب دور التجلى في روائـــع العقــول ومشارب القلوب التى تهفو إلى حقيقة الإيمان، ومشاهدة اليقين، ولقد ربط النورســـى هذه الحقائق بما يسمى بالإعجاز العددى في القرآن الكريم، فعددها في القرآن على ما أرى يجب أن يكون له لمحات إعجازية دقيقة روحية، وعددها بالذكر ناحية، وبالصلاة ناحية، ويتضامنها مع غيرها من الأسماء ناحية، ولفتاتها ناحية، وحروفها على الذكر أو الصلاة أو التسبيح أو التهليل ناحية.

المبحث الرابع:

تعدد العوالم المشاهدة المخلوقة كشاهد على التوحيد بأثر من الأسماء الحسنى:

لإثبات وجود الله تعالى اتبع النورسى عدة أساليب من بينها:

١ – قد استخدم البعض أدلة المتكلمين: رغم ما وجهه النورسى من نقد لدليلى " الحدوث "، و " الإمكان " فقد استفاد من هذين الدليلين، بعد أن دردهما مما اتتورهما من مصطلحاتهما الجافة، وأسلوبهما المشوش – على ما رأى – ووظفهما لإيصال الناس إلى معرفة الله الخالق.

يقول النورسى: " نعم إن حقيقة الحدوث قد استولت على الكائنات استيلاء تاما، إذ ترى العين المجردة حدوث أكثرها، ويرى العقل حدوث القسم الآخر.. وهكذا فإن إحداث وإيجاد عوالم حياتية وكائنات مسخرة موظفة في هذه الدنيا، ومن ثم إدارتها بكل علم وبصيرة وحكمة وميزان وموازنة، وانتظام ونظام واستخدامها في المقاصد الربانية، ولغايات إلهية وخدمات رحمانية، واستعمالها بكل قدرة، واستخدامها بكل رحمة تدل بالبداهة أن لا بد من وجود الخالق ذى الجلال، ويظهر كالشمس أنه سبحانه ذو قدرة وحكمة لا نهاية لها "

أما الامكان فيشاهد في كل الكائنات ما صغر منها وما كبر، ما دق منها وما عظم ودخولها في الوجود بذاتية خاصة، وصور معينة، وشخصية مميزة، وصفات مخصوصة، وبكيفيات حكيمة، وبأجهزة ذات مصلحة وفوائد.. وقد أعطيت تلك الصور والصفات والخصائص دون غيرها من الصفات والصور، ومنحت تلك الخصائص من بين احتمالات كثيرة وإمكانيات متعددة، الأمر الذى يدل على وجود الخالق سبحانه الذى خصص ورجح واحدث وعين. (١)

---

(١) راجع : الآية الكبرى صـ ٩٣ ، وما بعدها

وقد ركز النورسى على الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم، من منطلق دلالات الأنفس والآفاق، ففى تفسيره لقول الله تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون) [(١)] والنورسى يشرح هذين الدليلين فيقول عن المنهج النفسى: " فالسير النفسى يبدأ من النفس، ويصرف هذا السير نظره عن الخارج، ويحدق في القلب مخترقا أنانيته، ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلا إلى الحقيقة.. ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعا، لأن الحقيقة التى شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية تسير في هذه السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها،وترك الهوى، وإماتة النفس.

ويصور في السياق نفسه المنهج الثانى المعروف في ادبياته بالآفاقى بقوله: " أما النهج الثانى فيبدأ من الآفاق، ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى، وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في أفاق كونه القلبى، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد، فيصل إلى مقصوده، ومنتهى أمله "[(٢)]

٢-واتباعا لمنهج القرآن الكريم، استخدم النورسى المادة العلمية التى قدمها القرآن الكريم لمعرفة الله تعالى، والتى يشاهدها الإنسان أمامه مع اختلاف بيئات الناس، والمتمثله في أجزاء الكون التى نشاهدها من شمس وقمر وجبال وبحار وأنهار وأشجار، ونباتات وفواكه، ومن طيور ودواب وحيوانات إلى غير ذلك وأحياء وأشياء، ويعيشون خارج عصرهم من الناحية الفكرية والحضارية، بل وحتى النفسية.[(٣)]

---

(١) سورة يونس ، الآية رقم (٦٢)

(٢) المكتوبات صـ ٥٧٥

(٣) بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية لعمار جيدل ص ٦٤.

ومن الأدلة القرآنية التى ركز عليها دليلى: العناية والغاية، والاختراع، وقد سبق لابن رشد أن بين هذين الدليلين، واعتبر دليل العناية أحد الطرق التى نبه عليها القرآن الكريم، وينبنى على أصلين، أحدهما: أن جميع الموجودات في الكون موافقة لوجود الإنسان.

الثانى: إن هذه الموافقة هى ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، ولا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.

وقد وردت الإشارة إلى هذا الدليل في العديد من الآيات القرآنية. النبأ ٦-١٦، الفرقان: ٦١، عبس: ٢٤-٣٢.[١] أما الطريق القرآنى الثانى فهو دليل الاختراع، كما يقول ابن رشد، ويقوم هذا الدليل، أيضاً، على أصلين:

الأصل الأول: أن هذه الموجودات مخترعة.

الأصل الثانى: إن مخترع فله مخترع، فيصبح من هذين الأصلين أن للوجود فاعلاً مخترعاً له. "[٢]

وقد أورد النورسى كلا من دليلى العناية والاختراع وبين: " أن النظام المندمج في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحكم، بدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة ، وينفى نفياً قاطعاً وهم المصادفة والاتفاق الأعمى" [٣] . واستخلص من دليل الاختراع : "إن الله قد أعطى كل فرد ، كل نوع ، وجودا خاصا ، هو منشأ آثاره المخصوصة ، ومنبع كمالاته اللائقة ، فلا نوع يتسلسل إلى الأزل ، لأنه من الممكنات .." [٤]

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد صـ ١١٨ وما بعدها

(٢) المصدر نفسه صـ ١١٩

(٣) المثنوي العربي صـ ٤٢٨ وما بعدها

(٤) صيقل الإسلام لبديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي صـ ١٢٤ وما بعدها.

ومن خلال تفسيره لقوله تعالى : (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، له مقاليد السماوات والأرض) [١] ، وقوله تعالى : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) [٢] ، يثبت النورسي أن كل موجود من الموجودات يدل على وجوب وجود الله تعالى ، ويشهد على وحدانيته فيقول : " تأمل في بستان هذه الكائنات ، وانظر الى جنان هذه الأرض ، وانعم النظر ، فى الوجه الجميل لهذه السماء المتلائمة بالنجوم ، تر أن للصانع الجليل جل جلاله ختما بمن هو صانع كل شئ على كل مصنوع من مصنوعاته ، وعلامة خاصة بمن هو خالق كل شئ على كل مخلوق من مخلوقاته ، وآية لا تقلد خاصة بسلطان الأزل والأبد على كل منشور من كتابات قلم قدرته على صحائف الليل والنهار وصفحات الصيف والربيع .

ونذكر من تلك الأختام والعلامات بضعا منها نموذجا ليس إلا ، انظر مما لا يحصى من علاماته الى هذه العلامة التى وضعها على " الحياة " : " إنه يخلق من شئ واحد كل شئ ، ويخلق من كل شئ شيئاً واحداً " ، فمن ماء النطفة بل من ماء الشرب يخلق ما لا يعد من اجهزة الحيوان وأعضائه ـ فهذا العمل لا شك أنه خاص بقدير تقدير مطلق القدرة .

ثم إن تحويل الأطعمة المتنوعة – سواء الحيوانية أو النباتية – الى جسم خاص بنظام كامل دقيق ونسيج جلد خاص للكائن ، وأجهزة معينة من تلك المواد المتعددة ، لا شك أنه عمل قدير على كل شئ وعليم مطلق العلم .

نعم إن خالق الموت والحياة يدير الحياة فى هذه الدنيا ، إدارة حكيمة بقانون أمرى معجز ، بحيث لا يمكن أن يطبق ذلك القانون وينفذه إلا من يصرف جميع الكون فى قبضته .

وهكذا إن لم تنطفئ جذوة عقلك ولم تفقد بصيرة قلبك فستفهم أن جعل الشئ الواحد كل شئ بسهوله مطلقة وانتظام كامل ، وجعل كل شئ شيئاَ واحداً بميزان دقيق

---

(١) سورة الزمر الآيتان رقم ٦٢ - ٦٣

(٢) سورة يس الآية رقم (٨٣)

، وانتظام رائع ، وبمهارة وإبداع ، ليس إلا علامة واضحة ، وأية بينه لخالق كل شئ وصانعه." [١]

٣-رد النورسى خلال عرضه لقضيه وجود الله تعالى على الماديين ، إذ شهد عصره ظهور مذاهب فكرية ونظريات فلسفية تبنت الإلحاد منطلقاً واتخذت من التفسير المادى للكون والحياة هادياً فظهر الماركسية بمنهجها المادى الجدلى ، والوجودية الملحدة بنظريتها العدمية والوضعية وفلسفتها التطورية ، وهذه المذاهب وإن اختلفت فيما بينها فإنها تلتقى فى الأساس المادى الذى تقوم عليه ، وتتفق فى إنكارها كل ما ليس بمادى وتنظر الى المادة باعتبارها الفاعل الوحيد فى الكون والحياة[٢] .

وقد استخدم فلاسفة هذه المدارس المادية الجدل الفلسفى المبنى على قضايا الحتمية المادية وحتمية التطور والاحتمالات الرياضية ودور الصدقة فى نشأة الكون ، كما أستند العلماء التجريبيون منهم على التجربة باعتبارها الطريق الوحيد للمعرفة واعتبروا كل ما لا يخضع لها باطل بما فى ذلك المعتقدات الدينية من إيمان بالله وملائكته والرسلات الإلهية والآخرة وما فيها من غيبيات .

فهذه الفلسفات بمنهاجها وما أثارته من قضايا مثلت تحدياً كبيراً للعقائد الدينية ، ومن ثم اهتم النورسى بها ورد مقولات تلك الفلسفة المادية التى تنسب الوجود الى الأسباب المادية ، أو تزعم وجود الأشياء وجودا ذاتيا ، أو تدعى أن الطبيعة هى التى أوجدت الأشياء ، ويقول فى مقدمة رسالة الطبيعة : " أيها الإنسان : أعلم أن هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنه ، تخرج من أفواه الناس ، وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون ، وسنبين ثلاثا منها هى الغاية فى الخطورة .

---

(١) الكلمات صـ ٣٢٨

(٢) الإلحاد المعاصر لأحمد الجلي صـ ٨ وما بعدها.

أولاها : قولهم عن الشئ : " أوجدته الأسباب " أى أن الأسباب هى التى توجد الشئ المعين .

ثانيها: قولهم عن الشئ : " تشكل بنفسه " أى أن الشئ يتشكل من تلقاء نفسه ، ويوجد نفسه ، وبنفسه ، وينتهى الى صورته التى أنتهى اليها كما هى .

ثالثتها : قولهم عن الشئ : " اقتضته الطبيعة " أى أن الشئ طبيعى ، والطبيعة هى التى أوجدته واقتضته .

نعم! ما دامت الموجودات موجودة وقائمة أمامنا بما لا يمكن إنكارها مطلقا ، وأن كل موجود ياتى الى الوجود فى غاية الإتقان والحكمة ، وهو ليس بقديم أزلى ، بل هو محدث جديد .

فيا أيها الملحد! إما أن تقول إن هذا الموجود – وليكن هذا الحيوان مثلا – توجده أسباب العالم ، أى أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الأسباب المادية ، أو أنه تشكل بنفسه أو أنه يرد الى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها ! أو عليك أن تقول : إن قدرة الخالق ذى الجلال هى التى توجده ، لأنه لا سبيل الى حدوثه غير هذه الطرق الأربعة ، حسب موازين العقل ، فإذا ما أثبت – إثباتا قاطعا – أن الطرق الثلاثة الأولى محالة باطلة ممتعة ، غير ممكنه ، فبالضرورة والبدهة يثبت الطريق الرابع ، وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه." (١)

ولقد قرر النورسى بعض الحقائق فى العوالم المخلوقة وخلقها وأثر الأسماء الحسنى فى ذلك حينما وذلك أنه سئل – رحمة الله – كيف (أن علماء الكلام يثبتون (التوحيد) بعد ظهورهم ذهنا على العالم كله ، الذى جعلوه تحت عنوان الإمكان والحدوث ؟ وغن قسما من أهل التصوف لأجل أن يغنموا بحضور القلب واطمئنانه فالوا : (لا مشهود إلا هو) ، بعد أن لقوا ستار النسيان على الكائنات ، وقسم آخر منهم قالوا : (لا موجود إلا هو) وجعلوا الكائنات فى موضع الخيال وألقوها فى العدم

---

(١) اللمعات لبديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي دار سوزللر ط الثانية ١٤١٣ هـ صـ ٢٦٨.

؛ ليظفروا بعد ذلك بالاطمئنان ، وسكون القلب ، لكنا نسلك مسلكا مخالفا لهذه المشارب ، حيث نتبين منهجنا من القرآن الكريم ، وقد جعلت شعار هذا المنهج : " لا مقصود إلا هو " ، " لا معبود إلا هو " ! والأصل أن نوضح لنا هذا الأمر الذى يخص (التوحيد) فى هذا المنهج القرآنى .

يقول النورسى : " إن جمع ما فى (الكلمات) ، (والمكتوبات)، يبين ذلك المنهج القويم (...) إن كل شئ فى العالم يسند جميع الأشياء الى خالقه ، وإن طل أثر فى الدنيا يدل على أن جميع الآثار هى من مؤثره هو (...) أى أن كل شئ هو برهان وحدانية واضح ، ونافذة مطلة على المعرفة الإلهية ، (...) لأن القانون السارى فى الموجودات هو سلسلة تشد جميعها ، وبعضها ببعض ، والأفعال مرتبطة به (....) ذلك لأن الأسماء المتجلية فى الكون متداخل بعضها فى بعض ، كالدوائر المتداخلة ، وألوان الضوء السبعة . كل منها يسند الآخر ويمده كل منها يكمل أثر الآخر ويزينه!). (١)

ولو اردنا أن ننظر الى العوالم المشاهدة وغيرها لبان لنا بدقيق الأمر أننا لا نرى إلا الأرض ، وغير أن هذا ليس كل شئ ، وإنما تتداخل المعارف لنرى العالم على حقيقته فليس المشاهد من العوالم إلا كرة فى الكون الإلهى ، ولقد صنع النورسى قياسا بين ضآلة بالنسبة لعوالم الله تعالى فقال : " إن كرتنا الأرضية كبذرة صنوبر فى عالم المعنى وعالم المثال وفى عالم البرزخ وعالم الأرواح ، فان شجرتها المثالية التى ستبثق منها وتتمثل فى تلك العوالم ستكون كشجرة صنوبر ضخمة جداً بالنسبة لتلك البذرة ؛ لذا فإن قسماً من أهل الشهود يرون أثناء سيرهم الروحانى طبقات الأرض فى عالم المثال واسعة سعة مهولة جداً ، فيشاهدونها بسعة مسيرة ألوف السنين ، فما يرونه صدق وحقيقة ، ولكن لأن عالم المثال شبيه الصورة بالعالم المادى فهم يرونهما – أى العالمين كليهما – ممزوجين معا . فيعبرون عما يشاهدون

---

(١) يراجع : المكتوبات ج٢ صـ ٤٢٨ وما بعدها

كما هو ، ولكن لأن مشهوداتهم غير موزونه بموازين الكتاب والسنة ويسجلونها كما هى فى كتبهم عندما يعودون الى عالم الصحو ، فان الناس يتلقونها خلاف الحقيقة ، إذ كما أن الوجود المثالى عظيم وحديقة فيحاء تستوعبه مرآة صغيرة ، كذلك تسعة ألوف السنين من العالم المثالى ، والحقائق المعنوية تستوعبها مسافة سنة من العالم المادى .

ومن ثم فإنا نتعرف على وضع تجلى الأسماء فى الموجودات ، ولقد أبان النورسى بأنه كالخاتم ، أو السكة ، أو الطغراء ،التى تدل على المعرفة الإلهية ـ فهى جوهر (التوحيد الحقيقى) ولقد بينا ولع النورسى بتتبع هذا المعنى فى تحقيق التوحيد[1] وأنه لا يكاد يذكر ها إلا من خلال ذاك! قال :(إن للصانع جل جلاله على كل مصنوع من مصنوعاته (سكة) ، خاصة بمن هو خالق كل شئ ! وعلى كل مخلوق من مخلوقاته (خاتم) ، خاص بمن هو صانع كل شئ! وعلى كل منشور من مكتوبات قدرته (طغراء) غراء لا تقلد ، خاص بسلطان الأزل والأبد!)[2] ، ومثله قوله : (واما التوحيد لأهل لحقيقة ، فإنما يثبت كل شئ مما يشاهد من الأشياء ويسنده إليه سبحانه ، ويرى فيه سكته ، ويقرأ عليه خاتمة جل جلاله ، وهذا الإثبات يثبت الحضور وينافى الغفلة!).[3]

ومن ثم يمكن القول بأن المفاهيم الروحية كما يعرضها النورسى إنما يتلقاها فى حال اليقظة ، لا فى حال المحو والسكر ، اليقظة عنده أكمل من السكر ، والحضور أقوى من الغياب ، وعلى عكس ما هو موجود عند غيره ، ذلك أن (طريق القرآن) عنده – رحمة الله – هو الحقيقى الذى يجب أن يسلكه العبد إلى ربه عبر نفسه الواعية ، اليقظة ؛ من خلال مسلك الوجود . وذلك كمال الابتلاء وكمال التوحيد ،فالعبد الذى يستوعب الوجود حوله بتعدده وتنوعه ، فلا يفقد بوصلة السير الى الله

---

(١) راجع مفتاح النور صـ ٤١
(٢) راجع : المثنوي العربي ج٦ صـ ٤١
(٣) المصدر نفسه صـ ٣٤٦

الواحد ؛ هو العبد الأكمل ، فإذا بالكائنات جميعها بين يديه مجالس ذكر تسير بسيره الى الله فلا ينبغى أن يفتته شئ فى ذلك كله عن ربه ، بل يجب أن يجد كل شئ منعكسا عن انوار الأسماء الحسنى ، ومن هنا لم يكن طريق القرآن يضطر الى محو الوجود كما يفعل أهل الشطحات القائلين بوحدة الوجود ، نعم! ذلك هو طريق القرآن .

وقال – رحمة الله – فى بيان عجيب ، تشد الى مثله الرحال : (إن هذا الطريق أسلم من غيره لأن ليس للنفس فيه شطحات ، أو ادعاءات فوق طاقتها ؛ إذ المرء لا يجد فى نفسه غير العجز ، والفقر ، والتقصير ، حتى لا يتجاوز حده ، ثم إن هذا الطريق طريق عام وجادة كبرى ، لأنه لا يضطر الى إعدام الكائنات ، ولا الى سجنها ، حيث إن أهل " وحدة الوجود " توهموا الكائنات عدماً ، فقالوا : " لا موجود إلا هو " لأجل الوصول الى الاطمئنان والحضور القلبى ، وكذا أهل " وحدة الشهود " حيث سجنوا الكائنات فى سجن النسيان ، فقالوا : " لا مشهود إلا هو " للوصول الى الاطمئنان القلبى .

بينما القرآن الكريم يعفى الكائنات بكل وضوح عن الإعدام ، ويطلق سراحها من السجن ، فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر الى الكائنات أنها مسخرة لفاطرها الجليل ، وخادمة فى سبيلة ، وأنها مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ، كأنها مرايا تعكس تلك التجليات ، أى أنه يستخدمها بالمعنى الحرفى ، ويعزلها عن المعنى الأسمى ، من أن تكون خادمة ومسخرة بنفسها ، وعندما ينجو المرء من الغفلة ، ويبلغ الحضور الدائمي على نهج القرآن الكريم ، فيجد إلى الحق سبحانه طريقاً من كل شيء. [١]

وهكذا فان سَلطة الألوهية تقتضى وجود أسماء حسنى حقيقية متعددة لها ، أمثال : الرحمن ، الرزاق ، الوهاب ، الخلاق ، الفعال ، الكريم ، الرحيم ، وهذه الأسماء والصفات تقتضى كذلك وجود مرايا حقيقية لها .

---

(١) راجع : الكلمات صـ ٥٦١

والآن ما دام أصحاب وحدة الوجود يقولون " لا موجود الا هو " وينزلون الموجودات منزلة العدم والخيال فان أسماء الله تعالى أمثال : واجب الوجود ، الأحد ، الواحد ، يمكننا أن نرى تجلياتها الحقيقية ودوائرها الحقيقية ، وحتى إن لم تكن دوائر هذه الأسماء ومراياه حقيقية – وأصبحت خيالية وعدمية – فلا تضر تلك الأسماء شيئا بل ربما يكون الوجود الحقيقى أصفى وألمع إن لم يكن فى مرآته لون الوجود ، ولكن فى هذه الحالة لا تجد أسماء الله الحسنى الأخرى أمثال : الرحمن ، الرزاق ، الجبار ، الخلاق ، تجلياتها الحقيقية ، بل تصبح اعتبارية ونسبية ، بينما هذه الأسماء هى أسماء حقيقية كاسم " الموجود " ولا يمكن أن تكون ظلاً ، وهى أصلية لا يمكن أن تكون تابعة .

وهكذا فان الصحابة والمجتهدين والأصفياء عندما يشيرون الى أن " حقائق الأشياء ثابته " يقرون بان لأسماء الله تعالى تجليات حقيقية ، وأن لجميع الأشياء وجوداً عرضياً أسبغه الله عليها بالخلق والإيجاد ، ومع أن هذا الوجود يعتبر وجوداً عرضيا وضعيفاً وظلاً غير دائم بالنسبة لوجود " واجب الوجود " إلا أنه ليس وهماً وليس خيالاً ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أسبغ على الأشياء صفة الوجود بتجلى أسمه " الخلاق " وهو يديم هذا الوجود .

وقبل ان ننتقل من هذا الى غيره أقول ، لقد أقام النورسى أصول تعبرياته واجتهاداته على محك الروح والسباحة فى محيطات الروح أمر صعب جدا! لما فى ذلك من إيجاز فى عالم الغيب ، وواضح أن الدخول الى مثل تلك العوالم بغير صحبة دليل يفضى الى الهلكة! قال تعالى " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً "[1] .

ومن هنا فقد سعى النورسى لإثبات جميع معايير واجتهاداته عن طريق القرآن لا يرضى بغيره بديلا ، وذلك لأن القرآن هو المفتاح المفسر لكتاب العالم ، من البحر

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٨٥

المسجور الى البيت المعمور! ومن دركات النفس الإنسانية الى درجات الملائكة العندية! فمن ذا يدعى أنه أهل للدلالة على محجة تلك الطريق ؟ إذن لا يكون إلا صاحب دعوى عريضة ، أو أسير أهواء مريضة! إن الخرائط التى ترسمها النفس الإنسانية لمدارج الروح – بمجرد تذوقاتها الشخصانية ، غير المبينه على علم بكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليست سوى خرائط وهمية ، قد تشابه الحقيقية ؛ ولكنها لا تقاربها! لأنها فى طريقها بغير تأمين ولا ضمان!

وبناء على هذا الطريق قال بأن دلائل المتكلمين القائمة على نحو عقلى لا تفضى الى الحقيقة كاملة ، وكذلك أدلة بعض الصوفية القائمة على وحدة الوجود والقول بأن ما سوى الله عدم محض ، هى أدلة مبتورة ، ولذا رد محى الدين أبن عربى على فخر الدين الرازى بهذه المقولة فقال : ثم إن معرفة الله التى استقاها الرازى من علم الكلام ، كما تبدو ناقصة وقاصرة فى نظر ابن عربى ؛ فان المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة – بالنسبة نفسها – أمام المعرفة التى استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة .) [1]

وهذا ما يسبب وجود (المغامرة المعرفية) فى المنهج الصوفى ، كما هو الشأن فى المناهج الإنسانية الأخرى كعلم الكلام والفلسفة ، بما يجعلها (ليست مصونه من الشبهات والأوهام) . على حد تعبير النورسى .

---

(١) المكتوبات صـ ٤٢٤

المبحث الخامس :

بناء الكيان الإنسانى بتجلى أسماء الله الحسنى

فمن حيث التصور جعل بديع الزمان (الكون والإنسان) ركنا مهما من أركان خطابة التجديدى ، وركيزة أساسية من ركائز منظومته التربوية ، فخاطب الإنسان لا بما هو مخلوق من مخلوقات الله وحسب ، ولكنه خاطبه بما هو (كائن كونى) يحمل أمانة كونية يسير بها الى الله ، وكل الكائنات خلفه تتبعه مؤتمة به سائرة الى الله بسيره ، فلم يكن إذن ؛ لمفهوم الأمانة التى (حملها الإنسان) عنده إلا معنى (الإمامة الكونية)!

ذلك أن الإنسان هو خلاصة الكون وثمرته الجامعة[1] واشتق هذا من قول النورسى : (إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة ، فهو كالثمرة أبعد شئ عن البذرة ، وأجمع لخصائص الكل)[2] ، وقال أيضاً : (إن الإنسان هو الثمرة النهائية لشجرة الخلقة ، ومن المعلوم أن الثمرة هى أبعد أجزاء الشجرة ، وأجمعها وألطفها ؛ لذا فإن الإنسان هو ثمرة العالم ، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية ، وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا!) .[3]

وكثيرا ما كان يعبر النورسى عن هذا المعنى بمصطلح (الفهرست) ؛ وذلك لبيان العلاقة الجامعة بين الإنسان والمحيط الكونى حوله ، سواء فى ذلك جانبه الغيبى أو جانبه المادى ، حتى يستغل تلك المعطيات جميعها فى المجال التربوى ؛ إعادة ربط الصلة بين الإنسان وبين عمقه الكونى ، فيخرجه من السفه الفكرى الى الحلم الوجودى ، فقام بهذه الطريقة بناء على ما جاء فى القرآن الكريم فى مخاطبة الإنسان

(١) راجع : مفاتح النور صـ ٨٩

(٢) راجع : الكلمات ج١ صـ ٢٠٤

(٣) إشارات الإعجاز ج٥ صـ ١٤٩

، على نحو ما نجد فى قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة علــى الســماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولاً!) (١)

فهذه التكاملية الكونية التى ينطوى عليها الإنســان ، والمنجليــة فــى ضــعفه وحاجاته التى لا تكاد تنقطع! مما يجعله ينظر الى سائر الكون نظــرة الراغــب فــى استيعابه لخدمته وتسخيره ، هى التى جعلت بديع الزمان يجلى الحقيقة الإنسانية فــى صورة الفهرست الجامع لجميع أصول الكون وعناصره ، قــال رحمــة الله : (إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ، وجعله نسخة جامعــة للكائنـــات ، وفهرســتة لكتــاب العالم)(٢) ، ثم قال أيضاً : (إن الإنسان مع صغر جرمه وضعفه ، وكونه حيوانا مــن الحيوانات ؛ ينطوى على روح غال ، ويحتوى على استعداد كامل ، ويتبطن ميولات لا حصر لها ، ويشتمل على آمال لا نهاية لها ، ويجوز أفكارا غير محصورة ، ويتضمن قوى غير محدودة . مع أن فطرته عجيبة كأنه فهرستة للأنواع والعوالم) (٣) .

وأما من حيث التربية والتزكية : فقد كان لحضور المقــولات الكونيــة – لــدى النورسى – الأثر البالغ فى تكوين شخصية الإنسان القرآنى ، وإخراج الجيل النووى ، وأساس ذلك ما ضمنه منهجه التربوى من قواعد ترجع جميعها الى مبــدأ (التفكــر) فالتفكر عنده وسيلة تربوية ، وغاية تعبدية ، قائمة على الذوق والتذوق؛ أكثــر ممــا هى قائمة على عمليات العقل المجردة من العواطف والأحاسيس الوجدانية ، بــل هــو فكر الروح وعقل القلب ، وذلك أخذاً من قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق الســموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) (٤) ، وهــذا المعنــى لــه علاقة بمصطلح آخر ، هو (التدبر) المأخوذ من قوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٧٢

(٢) إشارات الإعجاز ج١ صـ ٢٦

(٣) المصدر نفسه ج٥ صـ ١٤٩

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٩١

أم على قلوب أقفالها) [١] . والتدبر : هو منهج قراءة الكتاب المسطور ، بينما التفكر : هو منهج قراءة الكتاب المنظور ، فهما مفهومان قرآنيان متداخلان أحدهما يحيل على الآخر ، ولذلك استعمل النورسى مصطلح (التفكر)باعتباره خطوة من خطواته التربوية المشهورة ، التى قدمها بديلا قرآنيا عن الأوراد الصوفية ، رغبة منه فى الاستجابة لتحديات العصر الجديدة . وهى أربع خطوات، بها يتم العروج الى الله عبرطريق القرآن الكريم ، وهي : (العجز ، والفقر ، والشفقة ، والتكر) فهذه المعانى يستشعرها العبد فى ممارسة عبادته لله الواحد القهار ، هذه العبادة التى لا تختلف أشكالها ، ولا أعددها ، ولا شروطها ؛ عما هو معروف ومشتهر لدى جمهور المسلمين ، أو ما يسمى لدى الفقهاء بـ (المعلوم من الدين بالضرورة)؛ ولذلك اعتبر النورسى منهجه هذا أقرب الى الحقيقة الشرعية ؛ منه الى الطريقة الصوفية .

قال النورسى فى سياق مقارنة طريق القرآن بطريق العشق الصوفى : (للوصول الى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة وعديدة ، ومورد جميع الطرق الحقة ، ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم (...) وقد استفدت من فيض القرآن الكريم – بالرغم من فهمى القاصر – طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو : طريق العجز ، الفقر ، الشفقة ، التفكر .

وهكذا يبين أن الأسماء الحسنى فى بناء الكيان الإنسانى ، واظهر النورسى ذلك من خلال مقولة العجز : إذ هى كالعشق موصول الى الله ، بل أقرب وأسلم ، فهما يوصلان الى المحبوبية بطريق العبودية والفقر : وهو ما يوصل الى أسم الله (الرحمن) فهو عبارة عن التجلى له ، وكذلك فإن الشفقة : كالعشق موصل الى أسم الله الله ، إلا أن أسم الله أنفذ منه فى السير ، وأوسع منه مدى ، وكذا يوصل الى اسم الله (الرحيم) فهو يمثل التجلى الحقيقى له ، وكذا التفكر : أيضا كالعشق إلا أنه أغنى منه وأوسع نورا ، وأرحب سبيلا ، إذ هو يوصل السالك الى اسم الله (الحكيم).

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤

وهذا الطريق يختلف عما سلكه أهل السلوك فى طرق الخفـــاء (...) وهـــو حقيقـــة شرعية متمسكة بالصوفية الحقيقية أكثر مما هو صوفية حلولية أو اتحادية .

المبحث السادس :

القرآن وحقيقة الإعجاز العددى وتجلى أسماء الله الحسنى :

إن من تأمل تعريف النورسى للقرآن يدرك مدى العمق الذى تغلغل إليه فى التعامل مع القرآن .

قال النورسى – رحمة الله – : (فإن قلت : القرآن ما هو ؟ قيل لك : " هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات ، والترجمان الأبدى لألسنتها التاليات للآيات التكوينية ،ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة فى صحائف السماوات والأرض ، وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة فى سطور الحادثات ، وكذا هو لسان الغيب فى عالم الشهادة ، وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية ، والالتفات الأبدية الرحمانية ، وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوى الإسلامى ، وكذا هو خريطة للعالم الأخروى ، وكذا هو قول شارح ، وتفسير واضح ، وبرهان قاطع ، وترجمان ساطه ؛ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه .

وكذا هو مرب للعالم الإنسانى . وكالماء وكالضياء للانسانية الكبرى التى هى (الإسلامية) وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر ، وهو المرشد الهادى الى ما خلق البشر له ، وكذا هو للإنسان : كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة ، وكما أنه كتاب واحد ، لكن فيه كتب كثيرة ، فى مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية ، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل ، حتى أنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والصديقين ، ومن العرفاء والمحققين ، رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ، ولمساق ذلك المسلك وتصويره ، حتى كأنه مجموعة من الرسائل").[١]

وتقرير حقيقة القرآن عنده أن " القرآن قد نزل من العرش الأعظم ،من الاسم الأعظم ، من أعظم مرتبة من مراتب كل أسم من الأسماء الحسنى ، فهو كلام الله بوصفه رب

---

(١) إشارات الإعجاز ج ٥ صـ ٢٢ ، وراجع : المكتوبات ج٢ صـ٢٦٧

العالمين ، وهو أمر الله بوصفه إله الموجودات ، وهو خطابه بوصفه خالق السماوات والأرض ، وهو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة ، وهو خطاب أزلى باسم السلطنة الإلهية الشاملة العظمى ، وهو سجل الالتفاف والتكريم الرحمانى النابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شئ وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية – إذ فى بدايات بعضها رموز وشفرات – وهو الكتاب المقدس الذى ينشر الحكمة ، نازل من محيط الأسم الأعظم ينظر الى ما أحاط به العرش الأعظم ، ومن هذا السر أطلق على القرآن الكريم ويطلق عليه دوماً ما يستحقه من اسم هو : (كلام الله) ، وتأتى بعد القرآن الكريم الكتب المقدسة لسائر الأنبياء عليهم السلام وصحفهم ، أما سائر الكلمات الإلهية الى لا تنفد ، فمنها ما هو مكالمة فى صورة إلهام نابع باعتبار خاص ، وبعنوان جزئى ، وبتجل خاص لاسم خصوصى ، وبربوبية خاصة ، وسلطان خاص ، ورحمة خصوصية ، فالهامات الملك والبشر والحيوانات مختلفة جداً من حيث الكلية والخصوصية ." (١)

ثم أن القرآن الكريم ، كتاب سماوى يتضمن إجمالا ؛ كتب جميع الأنبياء المختلفة عصورهم ، ورسائل جميع الأولياء المختلفة مشاربهم ، وآثار جميع الأصفياء المختلفة مسالكهم .. جهاته الست مشرفة ساطعة نقية من ظلمات الأوهام ، طاهرة من شائبة الشبهات ، لإذ نقطة استناده : الوحى السماوى والكلام الأزلى باليقين .. هدفه وغايته : السعادة الأبدية يالمشاهدة محتواه : هداية خالصة بالبداهة أعلاه : أنوار الإيمان بالضرورة .. أسفله : الدليل والبرهان بعلم اليقين.. يمينه : تسليم القلب والوجدان بالتجربة .. يساره : تسخير العقل والإذعان بعين اليقين.. ثمرته : رحمة الرحمن ودار الجنان بحق اليقين .. مقامه قبول الملك والأنس والجان بالحدس الصادق .

---

(١) الإعجاز في مظان الإيجاز صـ ٥

وهذا فقد أعطانا النورسى الشمولية العامة فى تسمية القرآن الكـريم وتعريفـه على نحو من الكمال متعدد الأجزاء مثل الوجود باعتباره أنس الحياة ، وأنس الممـات ، وطمأنينة القلب والفؤاد ، وتجليات الإحسان من مراتب الإحسان ، ونبرات الفضـل من العلى الأعلى العليم العلام ، فهو البرهان لمن أراد الاقتناع ، وهو السـفينة لمـن أراد النجاة ، وهو العزاء لمن كان جائعاً ، وهو المشرب لمن كـان عاطشـاً ، وهـو الملبس لمن كان عرياناً ، به سمات فضائل الأخلاق تمـت ، وفـى مظـاهر كمالـه وأفضاله ما فى الكون كله تهنت ، حبى الوجود فاحتباه ، وأرسل رسائله المسـطوره فى كل نحو من زواياه ، فسوابق الأنبياء ما تركوا شيئاً إلا وجاء فيه ، فهو الهدايـة، وهو النجاية فى الكلمات الإلهية .

وفى هذا البيان شمولية التلقى لحقائق القرآن لدى بديع الزمان[1] ؛ مما كان له أكبر الآثر فى قرآنية فكره وعمله على الإجمال ، ذلك أنه رحمة الله (لم يكن يقصـد فى بيان (مفهوم القرآن) ؛الى صياغة تعريف رسـمى أو حـدى – علـى طريقـة المناطقة – غايته حصر العقول فى معنى (القرآن) من حيث هو (مصحف مكتـوب) بما لا يدع مجالا للخلط بينه وبين غيره ، أو تحريفه بالزيادة والنقصان ، فتلك غايـة تكفل الله بها سبحانه ، إذ قال عز وجل : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [2] وعلماء القرآن والمفسرون ثم حفاظ الأمة منورائهم ، هم الذين سخرهم الله جل جلاله ، لتنفيذ هذه المهمة العظيمة إلا أن بديع الزمان ما كان يسعى الى هذا ، بقدر ما كـان يسعى الى محاولة تعريف (القرآن) من حيث هـو (كـلام رب العـالمين) المتوجـه برسالته الى الإنسان حامل الأمانة! فكأنه رحمة الله كان يروم تعريف (القـرآن) مـن حيث هو مضمون ، ومقاصد ، لا احرف ورسوم ، بمعنى أنه كـان يحـاول تعريـف

---

(١) راجع : مفاتح النور صـ ٢١٢

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّه حقَّ تُقاته ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وَأَنتُم مُّسْلمُون ﴾[1] .

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْس واحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُما رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُون بِهِ وَالأَرْحَام إنَّ اللّهَ كَان عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾[2].

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3] .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

اللهم صل علي سيدنا محمد النبي ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وآل بيته ، كما صليت علي إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد .

وبعد

فإنه لما كان علم الحديث من أجل العلوم وأشرفها ، وكان علم مصطلح الحديث هو الأداة والميزان الذي يعرف به حال الراوي والمروي ، كان لزاما علي المشتغلين بهذا العلم أن يتعرفوا علي دقائقه وأسراره ؛ حتي يتسنى لهم سبر غوره ،

---

(١) آل عمران / ١٠٢ .

(٢) النساء / ١ .

(٣) الأحزاب / ٧٠ ، ٧١

والغوص في جزئياته التي يتعلم منها الباحث كيفية الحكم علي الرواة ، ومعرفة درجات الأحاديث ، وذلك لا يتأتي إلا بعد بحث ودراسة وتمحيص .

ومن بين مسائل المصطلح التي رأيت أنها بحاجة إلي بحث ودراسة مسألة التصحيف والتحريف في الروايات ، والتي يترتب عليها التغيير في المعني ، وبالتالي يبتعد الباحث عن الصواب ، ويوسم بالخطأ ، ويتعري عن الدقة التي يتميز بها طالب الحديث عن غيره من المشتغلين بالعلوم الأخرى .

وأحب أن أشير هنا إلي أنه لا بد للباحث من :

ـ التحري والدقة عند قراءة مسائل مصطلح الحديث ، ولا مانع من تكرار المذاكرة أكثر من مرة ، فإنه من المعلوم أن كتب المصطلح لا تعطي لقارئها من أول مرة ، بل لا بد من الإعادة مرة بعد مرة حتي يُتقن ، ولا يكون هذا إلا بالصبر والتحمل ، كما قال يحيى بن كثير : إن هذا العلم لا يُستطاع براحة الجسد .

ـ الحذر كل الحذر أن تتكلم في مسألة حتي تجتمع عندك بكل جزئياتها ؛ حتي لا تقع في الحرج .

ـ و- أيضا - فإن من بركة العلم مراجعة الشيوخ والأئمة والجلوس بين أيديهم حتي يُضبط العلم ، كما قال إمام السنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : " إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام " .

ولذلك حرص العلماء علي ضبط الألفاظ والمتون والأعلام والنصوص وكل حرف مما يتصل به ، وقعدوا له القواعد والضوابط ، وخصوه بأبحاث وقضايا جاءت ضمن كتب علوم الحديث ، بل إن بعضهم أفرده بكتب خاصة كما هو واضح في كتاب " الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع " لمفخرة المغرب القاضي عياض - رحمه الله تعالي - وكتابه هذا هو الذي دفع بحماسة وحرارة إنصاف أسد رستم وهو من غير المسلمين لتأليف كتابه " مصطلح التاريخ" إعجابا بهذا الكتاب .

كل هذا لبيان المنهج العلمي الذي رسموه لضبط التلقي والسماع ، وتجنبا للوهم والخطأ الذي فضح به كثير العلماء .

لقرآن من حيث هو رسالة ربانية ، تحدد غاية الوجود البشرى فى الكون ، وتلخص قصو التكوين ، وترسم مدار فلكه الذى ينبغى له أن يسلكه الى ربه). [١]

فبناء على هذا وذاك ؛ جعلى النورسى حياته كلها خادمة للقرآن ، بل سمى نفسه (خادم القرآن)، وكذا كل تلاميذه إنما هم (خدام القرآن) وانطلقت بذلك حركة (خدمة القرآن) فىالأرض ، تبنى أركان الأمة ، كما بنى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أركان البيت ، وكما بنى سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – جيل الصحابة! فكانت (رسائل النور) على المنهج نفسه ، حركة قرآنية تجديدية ، تحيى الموات ، ونستبصر ما هو آت! فلك إن أردت الاختصار – فى وصف حركة النور من حيث وظيفتها – أن تقول : إنها حركة تذويق القرآن ، والتشويق للقرآن ، وتعشيق أصول القرآن .

فكان النورسى خادم سقاء ،لا يفتأ يذرع الأرض طولا وعرضا ، ويحمل كأسا مترعة بحقائق الإيمان ، مقطرة تقطيرا من رياحين القرآن ، يسقى العطشى ، ولقد كان أمره عجبا : قطرة واحدة من روح القرآن كافية لإرواء صحراء شاسعة من البشرية التائهة فى الجحيم! ومن هنا الرجل – رحمة الله – يتنقل بين البلاد والعباد ، مستجيبا لإرادة الله وعجيب قدراته ، مرة منفيا ، ومرة سجينا ، وأخرى سائحا فى ملكوت الله.. فيهب هذا (قطرة) ، وذاك (رشحة) ، والآخر (شمسه) ، أو (نقطة) ، او (ذرة) ، وهكذا. [٢] . يوزع الأذواق والمواجيد ، ويعلم الجيل كيف يتذوق القرآن ، حتى إذا حصل له الذوق الحقيقى ، وجد نفسه أسير جمال القرآن ، فلم يكن له آنئذ إلا أن يذوب فى شعاعه الوهاج! ومن ثم يكون رافدا جديدا من روافد حركة النور .

والكلام فى بيان منهجه فىمعالجاته وفهمه لآيات القرآن يطول غير أننا سنقتصر على مثل واحد لبيان حقائق فهمه ، ودقة خاطرة ، وسلامة عقله ، وحسن

---

(١) المصدر نفسه

(٢) من المصطلحات التي استخدمها النورسي كثيرة في رسائل النور

ذوقه ، وعذوبة مواجيدة ، ويقول النورسى : فمثلا : قوله تعالى : (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) .

هذه الآيات الجليلة فيها ست جمل : ثلاث منها مثبته وثلاث منها منفية ، وهى تثبت ست مراتب من التوحيد ، كما ترد ستة أنواع من الشرك ، فكل جملة منها تكون دليلاً للجمل الأخرى كما تكون نتيجة لها ؛ لأن : لكل جملة معنيين ، تكون باعتبار أحدهما نتيجة ، وباعتبار الآخر دليلاً .

أى أن سورة الإخلاص تشتما على ثلاثين سورة من سور الأخلاص ، سور منتظمة مركبة من دلائل يثبت بعضها بعضاً ، على النحو الآتى : (قل هو الله (لأنه أحد ، لأنه صمد ، لأنه لم يلد ، لأنه لم يولد ، لأنه لم يكن له كفواً أحد .

وكذا : (ولم يكن له كفواً): لأنه لم يولد ، لأنه صمد ، لأنه أحد ، لأنه هو الله.

وكذا : (هو الله) فهو أحد ، فهو صمد ، فإذا لم يلد ، فإذا لم يولد ، فإذا لم يكن له كفواً أحد." [1] وهكذا فقس على هذا المنوال، وقد عد النورسى أكثر من أربعين وجهاً للاعجاز ، ودلل على الوجه الواحد بأكثر من مثال ، بما يدل على البراعة والبيان والجزالة وراحة الأسلوب ، وتقفى الآثار ، ودقائق الأعداد ، وهذه كانت صورة من صور فهمه للقرآن الكريم على النحو اللفظى ، والأصل أن تنظر فى تذوق بلاغة القرآن ولإليك مثال يدل على هذا :

جاء فى الكلمة الخامسة عشرة " وهو قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان() فبأى آلاء ربكما تكذبان() يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران() فبأى آلاء ربكما تكذبان) [2] (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) [3]

---

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز

(٢) سورة الرحمن الآيات : ٣٣ – ٣٦.

(٣) سورة الملك الآية رقم : ٥

استمع لهذه الآيات وتدبر ما تقول؟ أيها الإنس والجان ، أيها المغرورون المتمردون ، المتوحلون بعجزهم وضعفهم ، أيها المعاندون الجامحون المترغون فى فقرهم وضعفهم! إنكم إن لم تطيعوا أوامرى ، فهيا اخرجوا من حدود ملكى وسلطانى إن استطعتم! فكيف تتجرأون إذا على عصيان اوامر سلطان عظيم : النجوم والأقمار والشموس فى قبضته ، تأتمر بأوامره كأنها جنود متأهبون ، فأنتم بطغيانكم هذا إنما تبارزون حاكماً عظيماً جليلاً له جنود مطيعون مهيبون يستطيعون أن يرجموا بقذائف كالجبال ، حتى شياطينكم لو تحملت ، وانتم بكفرانكم هذا إنما تتمردون فى مملكة مالك عظيم جليل ، له جنود عظام يستطيعون أن يصفوا أعداء كفرة – ولو كانوا فى ضخامة الأرض والجبال – بقذائف ملتهبة وشظايا من لهيب كأمثال الأرض والجبال ، فيمزقزنكم ! فكيف بمخلوقات عيفة أمثالكم؟ .. وأنتم تخالفون قانونا صارماً يرتبط ، به من له القدرة – بإذن الله – أن يمطر عليكم قذائف ورجمات أمثال النجوم.

قس فى ضوء هذا المثال قوة معانى سائر الآيات ورصانة بلاغتها وسمو إفاداتها."[١].

ولننظر فى مقام الإفحام كيف يفحم الله القرآن ، يقول النورسى : " وفى مقام (الإفحام والإلزام) تأمل فى هذين المثالين فحسب من بين آلاف أمثلته :

المثال الأول: (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [٢]

وسنشير هنا إشارة مجملة فحسب ، وهى : أن القرآن المعجزة البيان يقول : يا معشر الإنس والجن إن كانت لديكم شبهة فى أن القرآن ليس كلام الله ، وتتوهمون أنه من كلام بشر ، فهيا ، فها هو ميدان التحدى ، فأتوا بقرآنٍ مثل هذا يصدر عن شخص أمى لا يعرَف القراه ولا الكتابة ، مثل محمد الذى تصفونه أنتم بـ (الأمين) .. فان لم تفعلوا هذا فأتوا به من غير أمى ، وليكن بليغاً أو عالماً .. فان لم تفعلوا هذا فأتوا به من جماعة من البلغاء وليس من شخص واحد ، بل أجمعوا جميع بلغائكم

---

(١) راجع : الكلمات

(٢) سورة البقرة الآية رقم : ٢٣

وخطبائكم والآثار الجيدة للسابقين منهم ومدد اللاحقين وهمم شهدائكم وشركائكم من دون الله ، وابذلوا كل ما لديكم حتى تأتوا بمثل هذا القرآن ..

فان لم تفعلوا هذا فأتوا بكتاب فى مثل بلاغة القرآن ونظمه ، بصرف النظر عن حقائقه العظيمة ومعجزاته المعنوية .

بل القرآن قد تحداهم بأقل من هذا إذ يقول : (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)(١) أى ليس ضرورياً صدق المعنى فلتكن أكاذيب مفتريات ، وأن لم تفعلوا فليكن عشر سور منه ليس ضرورياً كل القرآن .. وإن لم تفعلوا هذا ، فأتوا بسورة واحدة من مثله فحسب ، وإن كنتم ترون هذا أيضا صعباً عليكم فلتكن سورة قصيرة.. وأخيراً ما دمتم عاجزين لا تستطيعون أن تفعلوا ولن تفعلوا مع أنكم فى أمس الحاجة الى الإثبات بمثيله ، لأن شرفكم وعونكم ودينكم وعصبيتكم وأموالكم وأرواحكم ودنياكم وأخراكم إنما تصان بلإيتان مثله ، وإلا ففى الدنيا يتعرض شرفكم ودينكم الى الخطر وتسامون الذل والهوان وتهدر أموالكم ، وفى الآخرة تصيرون حطباً للنار مع أصنامكم ومحكومين بالسجن الأبدى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) (٢).

فما دمتم قد عرفتم عجزكم بثمانى مراتب ، فلابد أن تعرفوا أن القرآن معجز بثمانى مراتب فإما أن تؤمنوا به أو تسكنوا نهائياً وتكون جهنم مثواكم وبئس المصير.

وبعد ما عرفت بيان القرآن هذا وإلزامه فى مقام (الإفحام) فقل : حقا إنه (ليس بعد بيان القرآن بيان) .

ثم يأتى دقيق المخاطبة لكافة الأصناف البشرية ، يقول النورسى : " نعم إن الألفاظ القرآنية قد وضعت وضعاً بحيث :أن لكل كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكون أحياناً وجوهاً كثيرة جداَ ، تمنح كل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب

---

(١) سورة هود ، الآية رقم : ١٣

(٢) سورة البقرة : الآية رقم ٢٤

مختلفة ، كما جاء فى الآثر فلكل أية ظهر وحد ومطلع ، ولكل شجون وغصون وفنون . فمثلا : قوله تعالى (والجبال أوتادا) [١]

فحصة العامى من هذا الكلام أنه : يرى الجبال كالأوتاد المغروزه فى الأرض كما هو ظاهر أمام عينه ، فليتأمل ما فيه من نعم وفوائد ويشكر خالقه .

وحصة الشاعر من هذا الكلام أنه : يتخيل أن الأرض سهل منبسط ، وقبة السماء عبارة عن خيمة عظيمة خضراء ضربت عليه ، وزينت الخيمة بمصابيح ، وان الجبال تتراءى وهى تملأ دائرة الأفق ، تمس قممها أذيال السماء ، وكأنها أوتاد تلك الخيمة العظيمة ، فتغمرة الحيرة والإعجاب ويقدس الصانع الجليل .

أما البدوى البليغ فحصته من هذا الكلام أنه : يتصور سطح الأرض كصحراء واسعة ، وكأن سلاسل الجبال سلسلة ممتدة لخيم كثيرة بأنواع شتى لمخلوقات متنوعه حتى أن طبقة التراب عبارة عن غطاء القى على تلك الأوتاد المرتفعة فرفعتها برؤوسها الحادة ، جاعلة منها مساكن مختلفة لأنواع شتى من المخلوقات .. هكذا فيسجد للفاطر الجليل سجدة حيرة وإعجاب بجعله تلك المخلوقات العظيمة كأنها خيام ضربت على الأرض .

أما الجغرافى الأديب فحصته من هذا الكلام أن :كرة الأرض عبارة عن سفينة تمخر عباب بحر المحيط الهوائى أو الأثيرى ، وأن الجبال أوتاد على تلك السفينة للتثبيت والموازنة ، هكذا يفكر الجغرافى ويقول أمام عظمة القدير ذى الكمال الذى جعل الكرة الأرضية الضخمة سفينة منتظمة وأركبنا فيها ، لتجرى بنا فى آفاق العالم : (سبحانك ما أعظم شأنك).

أما المتخصص فى أمور المجتمع والملم بمتطلبات الحضارة الحديثة فحصته من هذا الكلام : أنه يفهم الأرض عبارة عن مسكن ، وان عماد حياة هذا المسكن هو حياة ذوى الحياة ، وان عماد تلك الحياة هو الماء والهواء والتراب التى هى شرائط الحياة.

---

(١) سورة النبأ الآية رقم ٧

وان عماد هذه الثلاثة هو الجبال ، لأن الجبال مخازن الماء ،مشاطة الهواء ومصفاته – إذ ترسب الغازات المضرة – وحامية التراب – إذ تحميه من استيلاء البحر والتوحل – وخزينة لسائر ما تقتصيه حياة الإنسان .. هكذا يفهم فيحمد ويقدس ذلكم الصانع ذا الجلال والأكرام الذى جعل هذه الجبال العملاقة أوتاداً ومخازن معايشنا علــى الأرض التى هى مسكن حياتنا .

وحصة الفليسوف الطبيعى من هذا الكلام : أنه يدرك الامتزاجــات والانقلابــات والزلازل التى تحصل فى باطن الأرض تجد استقرارها وســكونها بظهــور الجبــال ، فتكون الجبال سبباً لهدوء الأرض واستقرارها حول محورها ومدارها وعدم عــدولها عن مدارها السنوى وكأن الأرض تتنفس بمنافذ الجبال فيخفف غضبها وتسكن حدتها .. هكذا يفهم ويطمئن ويلج فى الإيمان قائلاً: الحكمة لله .

ولقد أوردنا من القرآن الكريم مجهة جامعة اللفظ فى الكلام والكلمة والحــروف والسكوت مثالاً واحداً فحسب من بين آلاف الأمثلة ، فقس الآية والقصــة علــى مــا أسلفناه .

ومثلاً : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) [١]

هذه الآية لها من الوجوه الكثيرة العديدة حتى رأت جميع طبقات الأوليــاء فــى شتى وسائل سلوكهم هذه

ومراتبهم حاجتهم الى هذه الآية . فأخذ كل منهم غذاء معنوياً لائقاً بمرتبته التى هو فيها ، لأن لفظ الجلالة (الله) اسم جامع لجميع الأسماء الحسنى ، ففيه أنواع مــن الوحيد بقدر عدد الأسماء نفسها ، أى : لا رزاق إلا هو ، لا خالق إلا هو ، لا رحمــن إلا هو .. وهكذا .

ولننظر الى البداعة فى الأسلوب والرصانة فى التعبير ، والعجب والإقنــاع فــى تصوير حقائق آيات القرآن ، ويقول النورسى : " نعم ، إن أســاليب القــرآن الكــريم

---

(١) سورة محمد الآية رقم (١٩)

غريبة وبديعة كما هى عجيبة ومقنعة ، لم يقلد أحداً قط ولا يستطيع أحد أن يقلده ، فلقد حافظ وما زال يحافظ على طراوة أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نزل أول مرة ، فمثلا : إن الحروف المقطعة المذكورة فى بدايات عدة من السور تشبه الشفرات ؛ أمثال : الم . الر . طه . ي . عسق . وقد كتبنا نحو ست من لمعات إعجازها فى (إشارات الإعجاز) نذكر منها : إن الحروف المذكورة فى بدايات السور تنصف كل أزواج طبائع الحروف الهجائية من المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة ، وغيرها من أقسامها الكثيرة . إما الأوتار – التى لا تقبل التنصيف – فمن الثقيل النصف القليل كالقلقلة ، ومن الخفيف النصف الكثير كالذلاقة .

فلسلوكه فى التنصيف والأخذ بهذا الطريق الخفى الذى لا يدركه العقل من بين هذه الرق المتداخلة المترددة بين مائتى احتمال ، ثم سوق الكلام فى ذلك السياق وفى ذلك الميدان الواسع المشتبه الأعلام ليس بالأمر الذى يأتى مصادفة قط ، ولا هو من شأن البشر! .

فهذه الحروف المقطعة التى فى أوائل السور والتى هى شفرات ورموز إلهية تبين خمساً أو ستاً من أسرار لمعات إعجاز أخرى ، بل أن علماء علم أسرار الحروف والمحققين من الأولياء قد استخرجوا من هذه المقطعات أسرارا كثيرة جداً ، ووجدوا من الحقائق الجليلة ما يثبت لديهم أن المقطعات معجزة باهرة بحد ذاتها ، أما نحن فلن نفتح ذلك الباب إننا لسنا أهلا لأسرارهم ، زد على ذلك لا نستطيع أن نثبتها إثباتا يكون مشهوداً لدى الجميع ، وإنما نكتفى بإحالة الى ما فى (إشارات الأعجاز) من خمس أو ست لمعات إعجاز تخص المقطعات .

وها هى تلكَ اللمعات الجامعات والجلوات المستنيرة ، والقبسات العطرة ، والأضواء المظهرة لما عداها ، ومناسكها الفواحة التى توجب النظر فى القرآن الكريم وهى : "

اللمعة الأولى : أن القرآن الكريم قد أفاض من خزينة معانيه الجليلة مصادر جميع المجتهدين ، ومذاق جميع العارفين ومشارب جميع الواصلين ومسالك جميع

الكاملين ، ومذاهب جميع المحققين فضلاً عن انه صار دليلهم فى كل وقت ومرشـدهم فى رقيهم كل حين ناشراً على طرقهم أنواره الساطعة من خزينته التى لا تنضب ، كما هو مصدق ومتفق عليه بينهم .

اللمعة الثانية :إن القرآن الكريم مثلما أجرى من بحر علومه ؛ علوم الشـريعة المتعددة الوفيرة وعلوم الحقيقة المتنوعة الغزيرة ، وعلوم الطريقة المختلفـة غيـر المحدودة ، فأنه أجرى كذلك من ذلك البحر بسخاء وانتظام ؛ الحكمة الحقيقية لـدائرة الممكنات ، والعلوم الحقيقية لدائرة الوجوب والمعارف الغمضة لدائرة الآخرة .

اللمعة الثالثة : إن القرآن قد جمع المباحث الكلية لما يخص الإنسان ووظيفته ، والكون وخالقه والأرض والسماوات والدنيا والآخـرة والماضـى والمسـتقبل والأزل والأبد فضلاً عن ضمه مباحث مهمة أساسية ابتداء من خلق الإنسان من النطفة الـى دخوله القبر ، ومن آداب الآكل والنوم الى مباحث القضاء والقدر ، ومن خلق العـالم فى ستة أيام الى وظائف هبوب الريح التى يشير إليها القسم فى المرسلات والذاريات ومن مدخلته سبحانه فى قلب الإنسان وإرادته باشارات الآيات الكريمة (وما تشـاؤن إلا أن يشاء الله) [١] وأنه تعالى (يحول بين المرء وقلبه) [٢] الى النظر فـى كـون (السموات مطويات بيمينه) [٣] ، ثم النظر فى تكوينات الجنة وتقريبها الى المحسـوس بنا على (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) [٤] ثم التحول الى الحقيقـة العجيبـة التى تعبر عنها حقيقة الأرض فى الوجود ثم حقيقتها فى الزوال وهى حقيقـة واحـدة بفعل (إذا زلزلت الأرض زلزالها) [٥] ، ثم النظر الى حالـة السـماء قبـل الوجـود

---

(١) سورة التكوير الآية رقم ٢٩
(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٢٤
(٣) سورة الزمر الآية رقم ٦٧
(٤) سورة يس الآية رقم ٣٤
(٥) سورة الزلزلة ، الآية رقم ١

الأرضى وبعده بحالة تامة من الاستواء بقوله (ثم استوى الى السماء وهى دخان) [١] ثم التجول فى أصول الكون من وجود الى تفضيل وجود ثم الى تفصيل عدم الى انشقاق السماء ، وانكدار النجوم وانتشارها فى الفضاء الذى لا يحد ، ومن انفتاح الدنيا للامتحان الى انتهاء الاختبار ، ومن القبر الذى أول منزل من منازل الآخرة والبرزخ والحشر والصراط الى الجنة والسعادة الأبدية ، ومن وقائع الزمان الماضى الغابر من خلق آدم عليه السلام وصراع أبنيه الى الطوفان ، الى هلاك قوم فرعون وحوادث جليلة لأغلب الأنبياء عليهم السلام ، ومن الحادثة الأزلية فى (الست بربكم)[٢] الى (وجوه يومئذ ناضرة() الى ربها ناظرة) [٣] التى تفيد الأبدية .

فجميع هذه المباحث الأساسية والمهمة تبين فى القرآن بيانات واضحة يليق بذات الله الجليلة سبحانه الذى يدير الكون كله كأنه قصر ويفتح الدنيا والآخرة كغرفتين يفتح إحداهما ويسد الأخرى بسهولة ، ويتصرف فى الأرض تصرفه فى بستان صغير ، وفى السماء كأنها سق مزين بالمصابيح ، ويطلع على الماضى والمستقبل كصحيفتين حاضرتين أمام شهوده كالليل والنهار ويشاهد الأزل والأبد كاليوم وامس ، يشاهدهما كالزمان الحاضر الذى اتصل فيه طرفا سلسلة الشؤون الإلهية . وهو يؤكد على حقيقة لا يغفل عنها احد مثلما يقول ضوء الشمس : أنا منبعث من الشمس فالقرآن كذلك يقول : أنا كلام رب العالمين وبيانه .

اللمعة الرابعة : وفيها أضواء / الضوء الأول :

إن لأسلوب القرآن جامعية عجيبة ، حتى أن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذى ضم الكون بين جوانحه ، وأن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة ، وان أكثر الآيات – كلَ منها – كسورة صغيرة ، واكثر السور – كل منها – كقرآن صغير . فمن هذا الإيجاز المعجز ينشأ لطف عظيم للإرشاد وتسهيل واسع جميل . لأن كل

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ١١

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٢ .

(٣) سورة القيامة الآيتان رقم ٢٢ ، ٢٣

إنسان على الرغم من حاجته الى تلاوة القرآن كل وقت ، فإنه قد لا يتاح له تلاوته ، إما لغباوته وقصور فهمه أو لأسباب أخرى ، فلكى لا يحرم أحد من القرآن فان كل سورة فى حكم قرآن صغير ، بل كل قرآن صغير ، بل كل آية طويلة فى مقام سورة قصيرة ، حتى أن أهل الكشف متفقون أن القرآن فى الفاتحة والفاتحة فى البسملة . أما البرهان على هذا فهو إجماع أهل التحقيق العلماء .

الضوء الثانى : إن الآيات القرآنية بدلالاتها لأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية كالأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، الترغيب والترهيب ، الزجر والإرشاد ، القصص والأمثال ، والأحكام والمعراف الإلهية ، والعلوم الكونية ، وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة القلبية والحياة المعنوية والحياة الأخروية ، حتى يصدق عليه المثل السائر بين أهل الحقيقة : (خذ ما شئت لما شئت) بمعنى أن الآيات القرآنية فيها من الجامعية ما يمكن أن يكون دواء لكل داء وغذاء لكل حاجة .

نعم هكذا ينبغى أن يكون ، لأن الرائد الكامل المطلق لجميع طبقات أهل الكمال الذين يقطعون المراتب دوماً الى الرقى – ذلك القرآن العظيم – لابد أن يكون مالكاً لهذه الخاصية .

الضوء الثالث: الإيجاز المعجز للقرآن ، فقد يذكر القرآن مبدأ سلسلة طويلة ومنتهاها ذكراَ لطيفاً يرى السلسلة بكاملها وقد يدرج فى كلمة واحدة براهين كثيرة لدعوى ، صراحة وإشارة ورمزاً وإيماىً .

فمثلاَ : (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم) [1]

فهذه الآية الكريمة تذكر مبدأ سلسلة خلق الكون ومنهاها ، وهى سلسلة آيات التوحيد ودلائله ، ثم تبين السلسلة الثانية ، جاعلةالقارئ يقرأ السلسلة الأولى وذلك : أن أولى صحائف العالم الشاهدة على الصانع الحكيم هى خلق السماوات والأرض ، م تزيين السماوات بالنجوم وإعمار الأرض بذوى الحياة ، ثم تبدل المواسم بتسخير الشمس

(١) سورة الروم الآية رقم ٢٢

والقمر ، ثم سلسلة الشؤون الربانية فى اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما .. وهكذا تدريجيا حتى تبلغ خصوصية الملامح والأصوات وامتيازها وتشخصاتها التى هى أكثر مواضع انتشار الكثرة .

فإذا ما وجد انتظام بديع حكيم محير للألباب ، وتبين عمل قلم صناع حكيم فى أكثر المواضع بعداً عن الانتظام وأزيدها تعرضاً للمصادفة ظاهراً ، تلك هى ملامح وجوه الإنسان وألوانه ، فلابد أن الصحائف الأخرى الظاهر نظامها تفهم بنفسها وتدل على مصورها البديع .

ثم أنه لكا كان اثر الإبداع والحكمة يشاهد فى أصل خلق السماوالت والأرض التى جعلها الصانع الحكيم الحجر الأساس للكون ، فلابد أن نقش الحكمة وأثر الإبداع ظاهر جداً فى سائر أجزاء الكون .

فهذه الآية حوت إيجازاً لطيفاً فى إظهار الخفى وإضمار الظاهر فأوجزت وأجملت ، حقاً إن سلسلة البراهين المبتدئه من (فسبحان الله حين تمسون..) الى (وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) والتى تتكرر فيها ست مرات (ومن الله.. ومن آياته) إنما هى لسلة نور ، سلسلة إعجاز ، سلسلة إيجاز إعجاز ــ يتمنى القلب أن أبين الجواهر الكامنه فى هذه الكنوز ، لكن ما حيلتى فالمقام لا يتحمله ، فلا أفتح ذلك الباب ، وأعلق الأمر إلى وقت آخر بمشيئة الله .

الضوء الرابع : إن إيجاز القرآن جامع ومعجز ، فلو أنعم النظر فيه لشواهد بوضوح أن القرأن قد بين فى مثال جزئى وفى حادثة خاصة ، دساتير كلية واسعة وقوانين عامة طويلة ، وكأنه يبين فى غرفة ماء بحراً واسعاً .سنشير الى مثال واحد من آلاف أمثلته هو : الآيات الثلاث التى فصلنا شرحها فى المقام الأول من " الكلمة العشرين " : وهى : أنه يتعلم آدم– عليه السلام – الأسماء كلها تفيد الآية الكريمة : تعليم جميع العلوم والفنون الملهمة لبنى آدم ، وبحادثه سجود الملائكة لآدم – عليه السلام– وعدم سجود الشيطان تبين الآية : أن أكثر الموجودات – من السمك الى

الملك – مسخرة لبنى الإنسان ، كما أن المخلوقات المضرة – من الثعبان الى الشيطان – لا تنقاد اليه بل تعاديه .

وبحادثة ذبح قوم موسى – عليه السلام – البقرة تعبر الآية عن : أن فكرة عبادة البقر قد ذبحت بسكين موسى – عليه السلام – تلك الفكرة التى كانت رائجة فى مصر حتى أن لها أثراً مباشراً فى حادثة العجل .

وبنبعان الماءمن الحجر وتشقق الصخور وسيلان الماء منها تبين الآية : أن الطبقة الصخرية التى تحت التراب خزائن أوعية الماء تزود التراب بما يبعث فيه الحياة .

وبعد ، فان وراء كلمات القرآن البسيطة ومباحثة الجزئية هناك كثير من الأمثلة فى هذا الضوء الرابع من لمعات إعجاز كلمعة إيجاز إعجازى ، والعارف تكفيه الإشارة .

الضوء الخامس : وهو هو الجامعية الخارقة لمقاصد القرآن ومسائله ، ومعانيه وأساليبه ولطائفه ومحاسنه . نعم! إذا أنعم النظر فى سور القرآن الكريم وآياته ، ولا سيما فواتح السور ، ومبادئ الآيات ومقاطعها تبين : أن القرآن المعجز البيان قد جمع أنواع البلاغة ، وجميع أقسام فضائل الكلام ، وجميع أصناف الأساليب العالية وجميع أفراد محاسن الأخلاق ، وجميع خلاصات العلوم الكونية ، وجميع فهارس المعارف الإلهية ، وجميع الدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية وجميع القوانين النورانية السامية لحكمة الكون .. وعلى الرغم من جمعه هذا لا يظهر عليه أى أثر كان من آثار الخلط وعدم الاستقامة فى التركيب أو المعنى .

وهكذا كان القرآن دلالات قاطعة ليست على التعابير الظاهرة ، وإنما التعابير الخفية البعيدة عن الأنظار المقرونة بالماديات ، الواقعة على حدودها ، الناظرة بعين القصور والخلل ، وإنما شواهده قد نالت المطالب البعيدة الأركان ، المحققة البنيان ،

فكانت طبائعها أثاراً حقيقية ومعالم ثابته فى بنيان الوجد الكونى ، والقلب الجمعى للكائنات ، وهو ما يقوم بع عبر تجليات الأسماء الحسنى وقوامها .

أما الإعجاز العددى الذى يشير اليه النورسى كحقيقة تفيض على تلك الحقائق التى أظهرها النورسى فى لطائف القرآن الكريم وأبعاده الأساسية ، ودقائق إعجازه التى زادت على الأربعين وجهاً ، فإنه أبان أن هناك وجهاً يمكن أن ينال التفرد بالاعتبار تجليات الأسماء الحسنى بناء عليه ، وهو الإعجاز العددى فى القرآن الكريم.

وطريق هذا الإعجاز هو تعريف القارئ على هذه الأسماء الجليئة ، التى فيها رذاذ فواح من ماء الحياة للهداية الإلهية ، وبعض شرارات من بوارق إعجاز القرآن العظيم ، ومع هذا وذاك ، فلا تحسبن أن فى هذا تقديس للأعداد ، كما ظن البعض ممن جهلوا بحور الأعداد فى القرآن ، وذلك بالطريقة التى تتبعها القرآن الكريم فى بحثه لموضوعاته المطروحة .

فالقرآن يبحث عن الشمس مثلاً لا للشمس ، ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجاً ، وعن وظيفتها بصيرورتها محوراً لانتظام الصنعة ومركزاً لنظام الخلقة ، وذلك ليعرفنا باراءة نظم النسج وانتظام المنسوجات ، كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم ، فهو يفهمنا بها ، وينبهنا الى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة فى اختلاف الليل والنهار ، وتناولت الصيف والشتاء ، وفى لفت النظر اليها تنبيه السامع الى عظمة قدرة الصانع ، وانفراده فى ربوبيته .

فما الانتظام والنظم إلا مرايا معرفته سبحانه وتعالى ، وكذلك هو الأمر بالنسبة للأعداد والأرقام َوالإحصائيات ، وهو دليل على عظمة منزل القرآن العظيم ، وانفراده فى حفظه لكتابه سبحانه وتعالى ، وفيما يلى صورة ومثال أتى به النورسى لإتمام العمل ، وزرع الفضائل فى النفوس المشتاقة إلى كمال الإيمان .

وقد قام النورسى بتوظيف البعد العددى والإحصائى للتكرار فى النص القرآنى فى العصر الحديث ، حيث توصلَ فى بحثه الى ان تكرار الألفاظ فى القرآن الكريم لابد

أن تكون له دلالة على علاقات بينها وبين المكونات القرآنية ، وأن تكرارها يشير الى حكم عددية وإحصائية ، ومن ثم فإنه يرى ظاهرة التكرار وجها من أوجه الإعجاز القرآنى ، حيث يقول: " إن القرآن الكريم يظهر نوعا من إعجازه البديع فى تكراره البليغ لجملة واحدة أو لقصة واحدة ، وذلك عند إرشاده طبقات كتباينة من المخاطبين الى معان عدة ، وعبر كثيرة فى تلك الآية أو القصة ، فاقتضى التكرار فكل ما كرر فى القرآن الكريم من أية أو قصة ، إنما يشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة[١] ثم يقول ردا على الطاعنين بنقص بلاغة القرآن من جهة التكرار والتطويل وما يتصل بذلك : " أعلم أن القرآن لأنه كتاب ذكر ،وكتاب دعاء ، وكتاب دعوة ، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل الزم ، وليس كما ظنه القاصرون ، إذا الذكر يكرر ،والدعوة تؤكد ، إذ فى تكرير الذكر تنوير ، وفى تردد الدعاء تقرير ، وفى تكرير الدعوة تأكيد [٢] .

وبعد أن وضح النورسى المقصد من التكرار وبين العبرة فيه ، راح رحمة الله بضرب أمثلة على الانتظام الدقيق للألفاظ المكررة فى القرآن [٣] فذكر على سبيل المثال أن عدد المرات التى تكرر فيها لفظ الجلالة "الله " فى سورة البقرة تتساوى مع عدد آياتها ، ولكن بفارق (٤) أعداد . غلا أنه وجد أن (٤) ألفاظ جليلة وردت بدلاً عن لفظ الجلالة " الله " كما هو الحال فى "لا غله إلا الله "وبها تم التوافق ، وذكر أيضاً أن مجموع تكرار لفظ الجلالة "الله" مع لفظ "الرب" الوارد بمعنى "الله" يساوى نصف عدد آيات القرآن وأن عدد آيات السور الثلاث النساء والمائدة والأنعام توافق تماماً نع

---

(١) الكلمات صـ ٥٢٨

(٢) المكتوبات صـ ٢٦٨ وما بعدها

(٣) يلاحظ أن بعض الإحصاءات التي جاء بها النورسي غير دقيقة غير أنه قصد تبيين العبرة والفائدة ، وقد أوشكنا على إتمام بحثنا في صور الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، وقريباً إن شاء الله يخرج إلى النور.

مجموع تكرار لفظ الجلالة "الله" فى السور الخمس التالية إذا عد لفظ الجلالة فى بسملات هذه السور .(١)

ثم أشار رحمة الله الى أن لفظ الجلالة "الله" قد تكرر فى السور الخمس الأولى بمعدل ضعف عدده فى السور الخمس التى تليها ، أى الأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود ، وأن عدد المرات التى ورد فيها هذا اللفظ الجليل فى السور الخمس التالية ،أى الأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود ، وأن عدد المرات التى ورد فيها هذا اللفظ الجليل فى السور الخمس التالية، اى يوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل ،هو نصف النصف ، وأن عدده فى الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج ، هو نصف نصف نصف ، وأن السور التالية بعدها بخمس سور وخمس سور تحتفظ على تلك النسبة تقريباً ، وفى السور الخمس التالية التى تبدأ من سورة الزخرف ، يساوى هذا المجموع نصف نصف ذلك النصف ، ثم ابتداءاً من سورة النجم ، يصبح العدد بالتقريب نصف نصف نصف ذلك النصف".(٢)

فكان رحمة الله أول من تعرض لمثل هذه الملاحظات فى العصر الحديث ، ليؤكد بالبراهين القاطعة وجود علاقات عددية بين مكونات القرآن الحكيم ، وهذا الأمر يفيد دون أدنى شك أنه لا يد للمصادفة فى هذه العلاقات المحكمة ، بل على العكس من ذلك ، فهى تظهر بصورة جلية إعجازاً جديداً للنظم فى ثنايا هذا الكتاب العظيم ، وتبين انها ليست مجرد أرقام صماء تتساوى أو تختلف وإنما تدل على ميزان وانضباط مذهل للألفاظ والكلمات القرآنية الكريمة ،لأن الإنسان لا يمكن أن يحيط بهذه الصفحات الواسعة ، ولا يستطيع أن يتدخل فيها قطعاً .

وبعد أن تقدم الإمام النورسى فى البحث عن الحكمة العددية من التكرار وقام بتوظيفها فى النص القرآنى الكريم وبين أن الألفاظ والكلمات لم توضع عبثاً أو من غير حساب فى هذا الكتاب العظيم ، بل هى موضوعة وضعاً دقيقاً بحساب وتقدير ،

---

(١) الكلمات صـ ٥٢٥

(٢) المصدر نفسه صـ ٥٢٦.

تلاه عدد لا بأس به من المؤلفين المعاصرين الذين فتح الله عليهم بالإشارة الى ملاحظات لطيفة فى إحصاءاتهم لكلمات وألفاظ قرآنية ، مبينين توافقات بنسب عددية جميلة ، كثيراً ما كانت تتساوى واحياناً تصبح نصفا أو ثلثا ، مما يشهد على حكمة وانتظام عجيب واتساق موزون لا تجاوز فيه أو تفاوت .

فها هو الدكتور عبد الرازق نوفل يظهر وجهاً جديداً من الإعجاز العددى المتعلق بالتكرار ،والذى يتجلى فى تساوى أعداد الألفاظ القرآنية مبيناً التناسق والتوازن المحكم فيها، فيقول : " وما كنت أدرى أن التناسق والأتزان يشمل كل ما جاء فى القرآن الكريم فكلما بحثت فى موضوع وجدت عجباً وأى عجب ، تماثل عددى ، وتكرار رقمى ، أو تناسب وتوازن فى كل الموضوعات التى كانت موضع البحث ، فى الموضوعات المتماثله أو المتشابهة أو المتناقصة أو المترابطة . أنها معجزة ، وأى معجزة ، وأنها لصورة من صور الإعجاز التى لا يمكن لأى باحث أو دارس أو قارئ أن يستعرضها ، إلا ويؤمن الإيمان الكامل المطلق أن هذا القرآن لا يمكن إلا أن يكون وحى الله سبحانه وتعالى لآخر أنبيائه وخاتم رسله ، لأنه شئ فوق القدرة ، وأعلى من الاستطاعة ، وأبعدمن حدود العقل البشرى".[١]

ثم ضرب أمثلة عديدة على ما ذهب إليه ، تذكر منها الألفاظ المتطابقة عدداً . فقد وجد أن لفظ " الدنيا" تكرار فى القرآن الكريم(١١٥) مرة ، وهو نفس العدد الذى تكرر فيه لفظ "الآخرة" ووجد أيضا أن لفظ "الملائكة" تكرر فى القرآن (٦٨) مرة ، وهو نفس العدد الذى تكرر فيه لفظ "الشياطين" وذكر أن لفظ "الحياة" ومشتقاته تكرر (١٤٥) مرة ، وتساوى بذلك مع عدد ألفاظ "الموت" ومشتقاته ، وأن لفظ "الصالحات" ومشتقاته تكرر (١٦٧) مرة ، ليتساوى مع لفظ "السيئات" ومشتقاته ، وأن لفظ الجهر تكرر (١٦) مرة ، ليتساوى مع لفظ "العلانية" وأن لفظ " الرغبة" تكرر (٨) مرات ، وتساوى مع لفظ "الرهبة" [٢]

---

(١) الأستاذ عبد الرازق نوفل ، الإعجاز العددي للقرآن الكريم صـ ١٠ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه صـ ١٥ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٦٥ ، ٦٩

ثم تعرض الأستاذ صدقى البيك الى أمثلة مشابهة لهذه ، وأضاف اليهـا وجهـا جديدا من التناسق ، يظهر بين بعض الكلمات المتضاده أو المتقاربة ، حيث وجـد أن عدد المرات التى تتردد فيها بعض الكلمات القرآنية ليس متساويا ، وإنما يتناسب فى تناسق عجيب للغاية .

ومن الأمثلة التى ذكرها على هذه الظاهرة العجيبة :أن كلمة " الأبـرار" وردت فى القرآن(٦) مرات ، وهو ضعف "الفجار" التى وردت (٣) مرات ، وكلمـة "السـر" وردت (٣٢) مرة ، وهو ضعف "الجهر" التى وردت (١٦)مـرة ، وكلمـة "اليسـر " وردت (٣٦) مرة ، وهو ثلاثة أضعاف "العسر" التى وردت (١٢) مـرة ، و "المغفـرة "وردت (٢٣٤) مرة وهو ضعف " الجزاء" التى وردت(١١٧) مرة ، ثم وجد أن كلمـة "شهر" وردة فى القرآن (١٢) مرة بعدد شهور السنة ، وأن كلمة "الأيام" مثنى وجمعاً وردت (٣٠) مرة بعدد أيام الشهر ، وأن كلمة "يوم" بصيغة المفرد وردت "٣٦٥" مرة على عدد أيام السنة".[١]

ومن ثم ، فإن هذه الإحصائيات لم تبق مجردة ، وإنما نجد أن بعض النحـويين والبلاغيين المحدثين راحو يتفننون فى بيانها ، والكشف عن أسرارها . يقول الدكتور فاضل السامرائى مبينا السر فى ذكر اليوم على عدد أيام السنة ، والأيام على عدد أيام الشهر : " إن العرب تستعمل الجمع تمييزاً لأقل العدد وهو ثلاثة إلى عشرة ، فإذا زاد على العشرة وصار كثرة جاءت بالمفرد فتقول : عشرون رجلاً ، ومائة رجل ، وألـف رجل ، فالجمع يوقعونه تمييزاً للقلة والمفرد يوقعونه تمييزاً للكثرة ... فهـو جـرى على سنن كلام العرب فى التعبير . والقرآن بلسان عربى مبين".[٢]

وهكذا توالتَ البحوث تباعا بعد النورسى الذى كان رائداً فى هذا المجـال وفـة هذه الناحية بالذات ؛ لتظهر نوعاً من الإبداع والإحكام لهو دليل قائم شـاهد بلسـان حاله أن منزل هذا الكتاب إلهـ حكيم حفظ كتابه من كل زيغ وعبث سبحانه ، ولذلك كان

---

(١) معجزة القرآن العددية لصدقي البيك صـــ ٣٣ : ٤٧

(٢) د. فاضل السامرائي ، التعبير القرآني صـــ ١٣ وما بعدها.

من الطبيعى أن لا يقتصر هذا الإحكام على ألفاظ القرآن المكررة فحسب ، بل وأن يكشف عن أوجه من المناسبات المحكمة بين الكلمات القرآنية والتحامها فى جملها ، وبين مواضع الكلمات فى الآيات القرآنية واتساقها أوجه من المناسبات المحكمة بين الكلمات القرآنية واتساقها فى سورها . وهذا ما يقودنا للبحث فى النوع الثانى من العلوم التى ارتبط بها الإعجاز العددى : وهو علم المناسبة .

وفى النهاية أقول : إن كل أسم من أسماء الله الحسنى يتطلب مرآة خاصة به كل على حده . فمثلاً : أن الأسماء الحسنى أمثال : (الرحمن ، الرزاق) لما كانت أسماء حقيقية وأصلية فإنها تقتضى موجودات لائقة بها ومخلوقات محتاجة إلى مثل هذا الرزق ومثل هذه الرحمة .

فكما يقتضى اسم "الرحمن" مخلوقات حية محتاجة الى الرزق فى عالم حقيقى ، فان اسم "الرحيم" يستدعى جنة حقيقية كذلك ، لذا فان اعتبار أسماء معينة من أسماء الله لحسنى أمثال " الموجود ، الواحد ، الأحد ، واجب لوجود " هى الأسماء الحقيقية فقط وتوهم الأسماء الحسنى الأخرى تابعة وظلاً لها حكم غير عادل وتنكب عن واجب الاحترام لهذا والسماء الحقيقية فقط وتوهم الأسماء الحسنى الأخرى تابعة وظلاً لها حكم غير عادل وتنكب عن واجب الاحترام لهذه الأسماء الحسنى كما ينبغى .

إذن فالصراط المستقيم بل صراط الولاية الكبرى إن هو إلا طريق الصحابة والأصفياء والتابعين وأئمة أهل البيت والأئمة المجتهدين وهو الطريق الذى سلكه التلاميذ الأول للقرآن الكريم .

وهكذا نستطيع بفاعلية عجيبة تتبع أسماء الله الحسنى ، لنلمس منها الفاعلية نفسها فى وجود الحياة وامتدادها فى ضوء جملة حقائق ، اساسها ظاهرة التجلى فى الكون .

الحقيقة الأولى : باب الربوبية والسلطنة وهو تجلى اسم "الرب"

الحقيقة الثانية : باب الكرم والرحمة وهو تجلى اسم "الكريم والرحيم " باب الكرم والرحمة .

الحقيقة الثالثة : باب الحكمة والعدالة وهو تجلى اسم "الحكيم والعادل "

الحقيقة الرابعة : باب الجود والجمال وهو تجلى اسم " الجواد والجميل "

الحقيقة الخامسة : باب الشفقة وعبودية محمد "صلى الله عليه وسلم "وهو تجلى اسم "المجيب والرحيم "

الحقيقة السادسة : باب العظمة والسرمدية وهو تجلى أسم " الجليل والباقى "

الحقيقة السابعة : باب الحفظ والحفيظة وهو تجلى اسم " الحفيظ والرقيب "

الحقيقة الثامنة : باب الوعد والوعيد وه تجلى اسم " الجميل والجليل "

الحقيقة التاسعة :باب الإحياء والأماته وهو تجلى أسم "الحى القيوم والمحيي والمميت "

الحقيقة العاشرة :باب الحكمة والعناية والرحمة والعدالة وهو تجلى اسم " الحكيم والكريم والعادل والرحيم "

الحقيقة الحادية عشرة : باب الإنسانية وهو تجلى اسم "الحق "

الحقيقة الثانية عشرة : باب الرسالة والتنزيل وهو تجلى " بسم الله الرحمن الرحيم"

ومن المعلوم المؤكد لدينا الآن أن هذه الفاعليات والحقائق قد جمعت هذه الأسماء بما تشير إليه عن طريق الظاهر المعلن ، أو الخفى المستور ، وهى فاعليات وظيفية ترعى حركة الإنسان وما على المرء فتح قلبه لاستيعابها بغرض فهم واستيعاب أسرار الكون فى أفق تسخيرها .

ومن هنا يظهر بجلاء هدف النورسى ، وغايته من مبحث أسماء الله الحسنى وهى الأرتقاء بالإنسان فوق تفاهة الحياة المادية التى لا معنى وقيمة لها ، وبكلام أخر أن النورسى قد كان مسكوناً برغبة جعل الناس على قدر واحد فى استيعاب القرآن الكريم ، الذى عرفه بقوله رحمة الله : " هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات ، والترجمان الأبدى لألسنتها التاليات للآيات التكوينية ومفسر كتاب العالم ... وكذا هو كشافلمخفيات كنوز الأسماء المستترة فى صحائف السماوات والأرض .. وكذا هو

مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة فى سطور المحادثات.. وكذا هو لسان الغيب فى عالم الشهادة .. وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفات الأبدية الرحمانية .. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوى الإسلامى .. وكذا هو خريطة للعالم الأخروى .. وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه .. وكذا هو مرب للعالم الإنسانى ، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التى هى الإسلامية .. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر ، وهو المرشد المهدى الى ما خلق البشر له .. وكذا هو للإنسان : كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة ، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر ، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتبا كثيرة فى مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية ، ولمسلك كل كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل ، حتى أنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كانه مجموعة الرسائل".(١) (٢)

---

(١) راجع : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز صـ ٢٢ للنورسي

(٢) الكلمات صـ ٦٣٥ وما بعدها

وختاما أقول:

إن المتامل فى رسائل النور ، المتمعن فى مضامينها ومقاصدها ، يجد أنها حقا رسائل نور ، فهى تفيض بمعانى النور ،وتتدفق فيها أفكار النور ، وتشقق منها سيول الهدى ، وتنساب منها فيوض الندى ، فإنك إذا قرأتها فى نسقها العام ، ونظرت اليها وهى فى منظومتها الشاملة المتكاملة ، أدركت أنها قد نبعث من قلب متفجر بالإيمان متشبع بالقرآن ، وعلمت أنها قد سالت من فكر شمولى عميق ، قوامه السعة والتنوع وقوة التحليل والتعليل . إنك إذا قرأت رسائل النور وأمعنت النظر فى فقراتها وفتحت البصيرة فى محتوياتها رأيت رأى العين من خلالها سعيد النورسى حقيقة ، وأيقنت أنه بجانبك يحاورك ويناجيك ، ويلقى عليك بخالص ذهبه ، ولباب أدبه ، ويحبك لك بالغ نصائحه ، ويسبك لك أجود مواعظه ، ويصوغ لك لآلى وحلال سحره ، وحلال سحره وام يسعك أمام ذلك كله أن تنحنى إجلالا ، وتطأطئ رأسك امتثالا وتقف إكبارا لهذا الرجل الربانى الذى يحق لنا أن نصفه بأنه المجدد المصلح المربى القدوة الإمام الذى وهب قلبه وعقله لعصره ، ووقف حياته لدينه، وبذل رحيق عمره للدعوة والتربية وبناء الأجيال المسلمة المؤمنة ، وتقدم مادة الإسلام لهم ينبوعا صافيا ، ودواء شافيا من أسقام الأوهام الفكرية ، وعلل الاختلالات التى ابتلتهم بها الحياة المعاصرة وما حملته من شظايا المدينة الغربية ، وما رشحت به من رذاذ حمأتها الآسنة .

إن رسائل النور فى الحقيقة لا يدرك قيمتها ولا يذوق حلاوتها ولا يقدرها حق قدرها إلا الذين عِايشوها ليس زماناً وإنما قلباً وعقلاً فتلقوها من معينها الصافى ، ومنبعها الرقراق ، وكانوا رجالها وناسها وحراسها ، فهم أسباب ورودها وعناصر مادتها ومقومات محتوياتها ، ومن فإن قارئها يجب أن يستحضر ذلك كله حتى تفهم حق الفهم ، ويجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ حظه من معرفة ملابساتها الزمنية والمكانية والإنسانية ، ويجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ زاده من معرفة اصولها ومصادرها ومدرِستها ومنهاجها ، وتعرف على محررها ورائدها وقائدها وموقد

نورها الشيخ العالم الربانى بديع الزمان سعيد النورسى الذى نحتها من ذاته ، وفجـر ينابيعها فى قلبه الوضاء ، وأوقد مصباحها من فكرة الثاقب وبصيرته الساطعة ، لابد لقارئ رسائل النور أن يستعين فى فهمها وفقه مضامينها بالتعرف على حيـاة هـذا الرجل الإمام وفكره وجهاده وفلسفته فى الدعوة والتربية والبناء ، والتغيير ، ومنهجه فى خطاب العقل والقلب ، وطريقته فى مناظرة الأقربين ومحاورة الأبعدين .

إن رسائل النور مدرسة قائمة بذاتها لها أسسها المحكمة ،ومعالمها الواضحة ، ومنهاجها التربوى البين ، إنها مدرسة مبينة على ركنين مضمنين فى رسمها نفسـه المركب تركيبا إضافيا " رسائل النور " وما النور إلا التجلى الأوفى لفضل أسـماء الله الحسنى ، فرسائل النور كانت هداية للنور ، وبها يتمم نبراس النور ، وعلى عاتقهـا يحمل رسالة النور الى جميع من وليعلم مهما ذات قربها أو ابتعدت فى غـور غـائر مغور مغوور .

وليعلم الإنسان أنه يجب أن يربى نفسه على المحبة والنور ، وها هـى بعـض الأمور أقررها لك لتكون على ملئ عينيك ترتوى بها ، وتنتهج الحسـن فـى سـبيلها وهى :

علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبى

وعلامة حب النبى حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة

وعلامة حب الآخرة بعض الدنيا وعلامة بعض الدنيا ألا يأخذ منها إلا زادا وبلغة للآخرة

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خير الأنبياء محمد – صـلى الله عليـه وسلم

أ.د/ محمد السيد أحمد شحاته

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

المصادر والمراجع

١ - إجابة الداعى الى بيان اعتقاد الإمام الرفاعى رضى الله عنه ط القاهرة

٢ - إحياء علوم للإمام أبى حامد الغزالى ، الجزء الخامس ، الكتاب الخاص بكتاب عوارف المعارف للسهروردى ط دار مصر للطباعة سنة ١٩٩٨م

٣ - إعجاز العددى للقرآن الكريم ، الأستاذ عبد الرزاق نوفل .

٤ - إشارات الإعجاز للنورسى ترجمة الأستاذ: إحسان قاسم الصالحى ط استنبول سنة ١٩٩٢ مطبعة سوزلر ، القاهرة .

٥ - أعمال المؤتمر العالمى الخامس لبديع الزمان النورسى شركة نسل للطبع والنسر الطبعة الأولى .

٦ - الإلحاد المعاصر أ/ أحمد الجلى ط القاهرة

٧ - الإنسان فى فكر النورسى وجوداً ومهمة وغاية ،مقال فى المؤتمر العلمى الخامس .

٨ - الآية الكبرى ، للنورسى ، ترجمة أ/إحسان قاسم الصالحى ط استنبول سنة ١٩٩٢ مطبعة سوزلر ، القاهرة .

٩ - بديع الزمان النورسى فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى ، باستنبول سنة ٢٩٩٢ مطبعة سوزلر للنشر ، القاهرة

١٠ - بديع الزمان النورسى وإثبات الحقائق الإيمانية أ/ عمار جيدل ط تركيا

١١ - تاريخ الصوفية : تأليف عبد القادر عيسى ط القاهرة

١٢ - التعبير القرآنى د/ فاضل السامرانى ط المملكة العربية السعودية

١٣ - التعريف لمذهب أهل التصوف للكلابازى ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

١٤ - حقيقة التوحيد للنورسى ترجمة إحسان قاسم مطبعة العانى بغداد ١٩٨٥ .

١٥ - دلائل الإعجاز فى مظان الإيجاز صـ ١٥٤ وما بعدها .

١٦- رجال خدموا الإسلام ، الإمام سهل بن عبد الله التسترى مقال بقلم : أزد/ منيـــع عبد الحليم محمود .

١٧- الرسالة القشيرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٩م

١٨- شرح المرشد المعين ، للإمام محمد بن كيارة المالكى ط تركيا .

١٩- الشعاعات للنورسى ترجمة قاسم ط اســتنبول ســنة ١٩٩٢ مطبعــة يــوزلر ، القاهرة .

٢٠- صيقل الإسلام لبديع الزمان النورسى ترجمة إحسان قاسم الصالحى ط اســتنبول سنة ١٩٩٢ مطبعة يوزلر ، القاهرة .

٢١- الطبقات للشعرانى البانى الحلبى القاهرة .

٢٢- كشاف القناع عن متن الإقناع ، ط القاهرة .

٢٣- الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ط دار المعارف ز

٢٤- كليات رسائل النور ، تحقيق وترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شــركة ســوزلر للنشر ط٣ سنة ١٩٩٩ .

٢٥- لمعات الأسماء الحسنى فى رسائل النور لأوميد شمشك ، المؤتمر العالمى لبديع الزمان النورسى : بديع الزمان النورسى وغعادة بناء العالم الإســلامى فــى القــرن العشرين " .

٢٦- للمعات لبديع الزمان النورسى ترجمة إحسان قاسم الصالحى دار سوزللر للنشر ط الثانية ١٤١٣هـــ .

٢٧- المثنوى العربى ، ط استنبول سنة ١٩٩٢ مطبعة سوزلر ، القاهرة .

٢٨- مرشد أهل القرآن للنورسى ترجمة إحسان قاسم ط منير بغداد ١٩٩٩١ .

٢٩- مطارحات فى المعرفة الإيمانية عند النورسى، أديب الدباغ ، مركز الكتاب للنشر ط القاهرة ط الأولى ١٤١٧هـــ ١٩٩٧

٣٠- معجزة القرآن العددية الصافى اليك ط تركيا .

٣١- المكتوبات الرمان سعيد الروسى ترجمة : إحسان الصالحى . دار سوزلر . اسطنبول ١٩٩٢ من معالم التجدي عند النورسى لمحسن عبد الحميد جهود بديع الزمان النورسى فى تجديد الفكر الأسلامى مارس ١٩٩٩م .

٣٢- النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور ط القاهرة .